نساء لهن تاريخ

مواقف نسائية مشرقة صنعها الإسلام

بقلم
أم إسراء بنت عرفة بيومي

دار المعرفة
بيروت ـ لبنان

نساء لهن في التاريخ محص

مواقف نسائية مشرقة صنعها الإسلام

بقلم
أم إسراء بنت عرفة بيومي

دار المعرفة
بيروت - لبنان

نساءٌ لها تاريخ

الطبعة الأولى: 1423 هـ 2002 م
ISBN 9953 - 420 - 79 - 3

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing

جسر المطار - شارع البرجاوي - ص ب:٧٨٧٦ ,هاتف: ٨٣٤٣٠١ - ٨٥٨٨٢٠ ، فاكس ٨٣٥٦١٤، بيروت - لبنان
Airport Square, P.O.Box :7876,Tel : 834301 , 858820, Fax : 835614 , Beirut - Lebanon
http: // www.marefah.com/ E.mail: info@marefah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١] أما بعد:

لقد تركت المرأة المسلمة عبر صفحات التاريخ صفحات مشرقة حافلة بالسيرة العطرة والمواقف الرائعة التي تظهر فيها معاني هامة تحتاج المسلمة المعاصرة للتعرف عليها ولتتعرف من خلالها على النساء اللاتي دخلن التاريخ من أبواب شتى. فمنهن

من ذكرها التاريخ من مجال العلم والعبادة، ومنهن التي سطر لها من باب الصبر والإيمان والتضحية، ومنهن من سطر لها من مجال الوفاء وحسن العشرة، وظهرت كل هذه المعاني من خلال سِيَر لبعضِ النساء اللاتي تجسدت تلك المعاني عندهن في مواقف حية سريعة التأثير في القلوب، وليست كلمات صمّاء أو تأريخاً لحياة تلك النساء وشخصياتهن بل هي مواقف نستعرض من خلالها ملامح كل شخصية عبر التاريخ.

فلم تكن المرأة المسلمة في يوم من أيام التاريخ، إلا شعلة مشرقة تنير الطريق لأبنائها وبناتها من الأجيال التالية، ولم تكن المرأة المسلمة إلا إنسانة تعمل لتصنع للأجيال التالية تاريخاً حافلاً لتقتدي بها من جاء مَن بعدها من بناتها، ولا أقول إني سوف أَحصُر في هذا الكتاب كل من سجّل لهن التاريخُ مواقفَ مشرقة أثرت في صنع التاريخ وقدمت نموذجاً فريداً للمرأة المسلمة في كل مجال، بل هو جُهد مُقل يشهد الله أني ما قمت به إلا لحُبّي لتلك النساء اللاتي أقدِّمُهن لأختي المسلمة حتى تعيش بقلبها معهن وتنفعل مع سيرتهن فتسير على هَدْيهن وتتعرف من خلال سيرتهن أنها ليست هملاً في التاريخ بل هي حسيبة ذات حسب وأصل عظيم. فأنت يا أختاه من نساء المسلمين وأنت حسيبة الصحابيات وأصلك هو الإسلام الذي شرفنا به وشرفنا بالانتساب لنسائه، فنحن حفيدات أسماء ونُسيبة

وصفية رضي الله عنهن وغيرهن من النساء اللاتي قد لا تسمع المسلمة المعاصرة اليوم بأسمائهن هذه الأيام. ولن أقدم عبر صفحات هذا الكتاب نساء رسول الله ﷺ ولا بناته لأني أطمع في أن أفردهن في رسالة خاصة لكي نستطيع توضيح كل مواقفهن التي تمتلىء بالنور والهدى وكما أنّي لن أعتمد في كتابي على ترتيب خاص للشخصيات بل سأسوقهن في تنوع من حيث الموضوع دفعاً للملل، فسوف ننتقل من المسلمة الأم إلى المجاهدة إلى العالمة وسوف ننتقل من الصحابية إلى النساء السابقات لنا عبر صفحات التاريخ إلى التابعية ثم المواقف المعاصرة، وأسأل الله أن يوفقني في العرض لهن وأرجو يا أختاه أن تسعدي معي في هذه الرحلة المباركة عبر صفحات التاريخ مع هؤلاء الصحابيات والصالحات اللاتي تربين في مدرسة الإسلام وتعلمن معاني الإسلام فضربن في أخلاقهن ومواقفهن أروع الأمثلة في التطبيق العملي للإسلام الذي ظهر في سيرتهن عبر مواقف حية.

ولكي تتم الفائدة فسوف أقوم بالتأمل في كل موقف والتعليق عليه بما يفيد المرأة المسلمة اليوم. في حياتها وفي طريقها إلى الله عز وجل وسوف أقدم لكِ يا أختاه عبر هذا الكتاب المرأة كزوجة، كأم، كإنسانة صابرة مؤمنة، كعالمة مُحدِّثة، سوف أجعلك تعيشين مع شخصيات يسعد التاريخ

بذكرهن، شخصيات سجل التاريخ سيرتها بمداد من نور عبر صفحاته، فتعالي معي يا أختاه عبر هذه الصفحات لنعيش مع «نساء لها تاريخ».

ولكي تتم الفائدة أسوق لكِ بعض المواقف العصرية التي لم يذكرها التاريخ لحداثتها ولكنها مواقف حية تشجعك على علو الهمة، ولكي تعلمي أن النساء السابقات كما سطر لهن التاريخ مواقف مشرقة فقد سجلت نساء اليوم مواقف قد لا تكون مشهورة ولكنها جديرة أن نتأملها ونتعلم منها، فتعالي معي عبر صفحات التاريخ وصفحات الحياة نعيش مع هؤلاء وهؤلاء لعل الله أن يرزقنا من فضله فتُكتب أسماؤنا في الأرض وفي السماء في سجل المسلمات الخالدات.

وأسأل الله العلي القدير أن ينفعني بهذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به من كتبه ومن سيقرأه ومن قام على نشره.

أختك في الله

(أم أسماء وسارة وإسراء)

أم سُليم بنت مِلْحان «الرميصاء»

امرأة مهرها الإسلام

وعبرَ صفحاتِ التاريخ تلوحُ لنا صفحات عطرة مشرقة تشعُ بالهداية للمسلمة المعاصرة في كل مجال، ومن الشخصيات التي تظهر عبر تلك الصفحات السيدة أم سليم، وهي:

أم سليم بنت ملحان بن خالد الأنصارية أم أنس بن مالك رضي الله عنه اخُتلف في اسمها، قيل رُمَيْلة وقيل الغُميصاء والرُميصاء رضي الله عنها[1].

يروي لنا التاريخ عنها أنها كانت تحت مالك بن النضر ووقع الإسلام في قلبها فأسلمت مُراغَمةً[2] لزوجها مالك بن النضر والد سيدنا أنس بن مالك، وقد جاء عنها أنها كانت تقول لطفلها وهو صغير: «قل لا إلٰه إلا الله قل أشهد أن محمداً رسول الله» فجعل ينطق بذلك أول ما ينطق ثم ما لبث أن غضب زوجها عليها وخرج إلى الشام ومات هناك[3].

---

(١) أسد الغابة (٧/ ٣٤٥) الاستيعاب (٤/ ١٩٤٠).

(٢) أي رغماً عنه.

(٣) عودة الحجاب إسماعيل المقدم (٢/ ١٥١).

وقد كثر خُطّاب أم سُليم بعد وفاة زوجها مالك وممن جاءوا لخطبتها أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه ـ وكان مشركاً ـ فأبت ورفضت لأنه مشرك وهي مسلمة ثم قالت له يوماً وهي تخاطبه ـ في ذكاء المؤمنة التي تريد جذب قلبه إلى الإسلام ـ قالت له:

«يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلٰهك الذي تعبده هو حجر لا يضرك ولا ينفعك أو خشبة تأتي بها النجار فينجرها لك، هل يضرك؟ هل ينفعك؟ أفلا تستحي من عبادتك هذه؟ فإن أسلمت فإني لا أريد منك صداقاً غير الإسلام»[١].

فوقع الإسلام في قلب أبي طلحة ونطق بالشهادتين وحَسُنَ إسلامه رضي الله عنه. قال ثابت: «فما سمعتُ بامرأة قط كانت أكرم مهراً من أم سليم: الإسلام»[٢].

وهكذا كان مهرهُا أغلى مهراً عَرَفَه التاريخ، وأي شيء أغلى من الإسلام؟ وما أربحها من زيجة تلك التي تجعل المسلمة فيها صداقها الإسلام فيكون زوجها وكل أعماله الصالحة فيما بعد في ميزان حسناتها؟

فليت من تقرأ كلماتي من مسلمات اليوم اللاتي يبحثن عن

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٤٢٦) والنسائي (٦/ ١١٤) في النكاح باب التزويج على الإسلام.

(٢) رواه النسائي (٦/ ١١٤) وانظر المحلى (٩/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠).

المال والجاه وعَرَضِ الدنيا الفاني أن يرضين بأزواج صالحين ولو كانوا فقراء ويتعاونوا جميعاً على إقامة بيوت مسلمة لا تبحث عن المال والجاه في الدنيا، بل تسأل الله من فضله في دار كرامته، وما أجمل البيوت المسلمة التي تُذكر في السماء بالثناء الحسن. ولم تكن هذه المؤمنة مسلمة صادقة فقط، بل كانت أماً حكيمة ومُربية فاضلة أرادت أن تُنشأ أولادها على لا إلٰه إلا الله ويتخرجوا من مدرسة لا إلٰه إلا الله مدرسة المصطفى ﷺ.

فلقد كانت تقولها لسيدنا أنس رضي الله عنه وهو طفل رضيع: يا بني قل لا إلٰه إلا الله. ولما بلغ عشر سنوات ماذا فعلت به؟

عن أنس قال: قدم النبي ﷺ وأنا ابن عشر سنين وأخذت أمي بيدي فانطلقت بي إلى رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله إنه لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلا وقد أتحفك بتحفةٍ وإني لا أقدر على ما أُتْحِفُكَ به إلا ابني هذا فخذه ليخدمك ما بدا لك»(١) وهكذا كانت أُمًّا ذكية اختارت لطفلها مدرسة النبوة ليتخرج منها حاملاً لشهادة لا إلٰه إلا الله رافعاً راية الإسلام.

وقد حصل منها سيدُنا أنس بن مالك على شهادة لا إلٰه إلا الله بجدارة سجلها له التاريخ.

---

(١) نساء مؤمنات ص ٦٢ وقد ورد الحديث في مسلم (٢٤٨٠/ ١٤١) بلفظ «خادمك أنس ادع الله له» باب من فضائل أنس بن مالك كتاب فضائل الصحابة.

وكما كانت أماً مُربية صالحة كانت أُمًّا صبوراً سطر لنا التاريخ موقفاً من مواقفها التي ظهر فيها الصبر والإيمان والرضا والاستسلام لأمر الله وقضائه سبحانه وتعالى.

عن أنس رضي الله عنه قال: «اشتكى ابن لأبي طلحة قال: فمات وأبوه أبو طلحة بالخارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً وجعلت ابنها في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال كيف الغلام قالت: قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح وظن أبو طلحة أنها صادقة، قال: فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات»[١].

وجاء في رواية أنها قالت: توفي ابن لي وزوجي غائبٌ فقمت فسجّيته في ناحية من البيت، فقدم زوجي فقمت فتطيبت له فوقع عليَّ ثم أتيته بطعام فجعل يأكل فقلت: ألا أعجّبك من جيراننا؟ قال: وما لهم؟ قلت: أعيروا عارية فلما طُلبت منِهم جزعوا، فقال: بئس ما صنعوا فقلت: هذا ابنك. فقال: لا جرم لا تغلبين على الصبر الليلة فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «اللهم بارك لهم في ليلتهم» فلقد رأيت ـ يقول (عباية بن رفاعة)[٢] ـ لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأ القرآن[٣].

(١) رواه البخاري (٣/ ١٦٩) الجنائز ومسلم (١٤/ ١٢٤ ـ ١٢٥).
(٢) راوي القصة في (أحكام الجنائز وبدعها) ص ٢٤ ـ ٢٦.
(٣) «الطبقات الكبرى» (٨/ ٣١٦) صفة الصفوة (٢/ ٤٩) والخبر برواية أخرى في

فأي صبر هذا وأي حسن معاشرة هذه حين تتحمل صدمة موت طفلها في صبر ورضا، ثم تحاول أن تخفف من شأنها عند زوجها فتتطيب له وتتزين ثم تمكنه من نفسها ثم تخبره بأسلوب لطيف بوفاة طفله الصغير. فأي صبر ورضا نتعلمه من السيدة أم سليم فلقد ضربت نموذجاً رائعاً للصبر مع أن النساء أشدُّ هلعاً وجزعاً في مثل هذه المواقف، ولكن الإسلام الذي نتعلم من ظلاله معاني الاستسلام والرضا بما قسمه الله، إنه الإسلام الذي يغير طبائع النفوس ويكسوها بأجمل الثياب ثياب الرضا والصبر فلم يكن الحامل على ما فعلته السيدة أم سليم ـ في رأيي ـ إلا المبالغة في الصبر برجاء أن يخلف الله عليها ما فات منها، إذ لو أعلمت زوجها بالأمر من أول الحال لم تبلغ غرض الإخلاف الذي أرادته ولكنه لما علم الله صدق نيتها بلّغها مُناها وأصلح لها ذريتها وكانوا من حملة كتاب الله عز وجل. فهل لنا يا أختاه من إصلاح أبنائنا وبناتنا حسبة لله لنطبق قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: الآيتان: ١٦٢ ـ ١٦٣].

هل رأيت يا أختاه أُمًّا كأم سليم أو زوجة صالحة في عشرتها لزوجها مثلها؟ وكما كانت أماً خالدة كانت أيضاً مجاهدةً

= «أسد الغابة» (٢/ ٣٤٥) وأصل الحديث في الصحيحين وله عدة روايات جمعها الألباني.

في سبيل الله ومما سطره لنا التاريخ في ذلك.

عن ثابت: قال: لما كان يوم أحد رأيت عائشة وأم سليم، وإنهما لمشمرتان أرى خدَم سُوقهما[١] تنقلان القُرب[٢] على متونهما (ظهورهما) ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتُفْرِغَانَها في أفواه القوم[٣].

وعنه قال: «جاء أبو طلحة يوم حنين يُضحك رسول الله ﷺ من أم سليم فقال: يا رسول الله ألم تر إلى أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: ما تصنعين به يا أم سليم؟ قالت: أردت إن دنا أحد منهم مِني طعنته»[٤].

هكذا كان لأم سليم شأن عظيم في مجال الأمومة والجهاد والصبر ولذلك كانت جديرة بأن يمنحها رسول الله ﷺ وسام الشرف ويبشرها بالجنة. عن رسول الله ﷺ قال: «دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يديّ فإذا أنا بالغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك»[٥].

---

(١) خدَم سُوقهما: أي أنهما مشمرتان.

(٢) القُرب: ما تسقي به الناس وتحمل فيه الماء والمفرد قِربة.

(٣) صفة الصفوة (٢/ ٤٧) حلية الأولياء (٢/ ٥٧).

(٤) مغازي الواقدي (٣/ ٩٠٤) وصفة الصفوة (٢/ ٤٧) والحديث رواه مسلم بلفظ آخر [١٨٠٩/ ١٣٤] كتاب الجهاد والسير باب غزو النساء مع الرجال.

(٥) البخاري (٣٦٧٩) كتاب المناقب، مسلم (٢٤٠٦) كتاب الفضائل.

أم حكيم بنت الحارث

بطولة رائعة ليلة الزفاف

أم حكيم بنت الحارث بن هشام القرشية المخزومية، وأمها فاطمة بنت الوليد أخت خالد بن الوليد[1].

وقد سطرّ لنا التاريخ عنها بطولة رائعة في ليلة زفافها على خالد بن سعيد وذلك أنها كانت زوجة لعكرمة بن أبي جهل وأسلمت قبله يوم الفتح ولما أسلمت كان زوجها قد هرب إلى اليمن فاستأمنت له من النبي ﷺ وأستأذَنته في أن تسير في طلبه فأذن لها فردته فأسلم وقُتل عنها عكرمة، ثم تزوجها خالد بن سعيد[2] ولهذا الزواج قصة. قال الواقدي: كانت أم حكيم بنت الحارث تحت عكرمة بن أبي جهل فقُتل عنها بأجنادين فاعتدت أربعة أشهر وعشرا وكان يزيد بن أبي سفيان يخطبها وكان خالد بن سعيد يُرسل إليها يعرض لها في خطبتها فخُطِبَت إلى

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٧/ ٣٢١).

(٢) خالد بن سعيد صحابي من عبد شمس من قريش أسلم قديماً بعد أبي بكر الصديق وهاجر إلى الحبشة لإيذاء أبيه له، شهد مع الرسول عمرة القضاء وفتح مكة وغزوة حنين واستشهد في مرج الصفر سنة ١٤ هـ.

خالد بن سعيد فتزوجها على أربعمائة دينار. فلما نزل المسلمون مرج الصُّفَر ـ وكان خالد قد شهد أجنادين ومرج الصُّفَّر[١] ـ أراد أن يُعرس بأم حكيم فجعلت تقول: لو أخرّت الدخول حتى يفضَّ الله هذه الجموع، فقال خالد: إن نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم، قال: فدونك فأعرس بها عند القنطرة التي بالصفر، فيها سُميت قنطرة أم حكيم، وأوْلم عليها، فدعا أصحابه على طعام فما فرغوا من الطعام حتى صفّت الروم صفوفها صفوف خلف صفوف، وبرز رجل منهم يدعو إلى المبارزة فبرز خالد بن سعيد فقاتل فقُتل. وشدت أم حكيم عليها ثيابها وتَبدَّت وإن عليها أثر الخلوق (نوع من الطيب) واقتتلوا أشد القتال على النهر وصبر الفريقان جميعاً وأخذت السيوف بعضها بعضاً وقتلت أم حكيم يومئذ بعمود الفسطاط (أي الخيمة) الذي بات فيه خالد مُعرِّساً بها[٢].

عروس تقاتل ليلة زفافها يا لها من شجاعة وقوة، تأملي يا أختاه تلك العروس وهي تدافع عن دينها في مواجهة أعداء الإسلام من الروم وتُظهر من الشجاعة والقوة ما جعلها تقتل

---

(١) مرج الصُّفَّر: ضاحية جنوب دمشق الشام لأن دمشق نفسها فتحت بعد ذلك صُلحاً.

(٢) الاستيعاب عن الواقدي (٤/ ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣) طبقات ابن سعد (٨/ ١٩١) أسد الغابة (٧/ ٣٢١).

سبعة رجال بمفردها وهي المرأة الضعيفة بذاتها القوية بإيمانها بربها. ما أروع تلك البطولة الفريدة التي سطرها لنا التاريخ عن أم حكيم والتي نتعلم منها أن الدفاعَ عن الدين لا ينتظرُ وقتاً مُعيناً بل يكون في كل وقت وفي كل مُناسبة وبكل وسيلة ممكنة، فقد قاتلت أم حكيم ليلة زفافها وقاتلت بعمود خيمة ونحن يا أختاه بما نقاتل اليوم وبأي وسيلة ندافع عن ديننا؟ وهل المقصود بالدفاع القتال فقط؟ لا يا أختاه فقد يكون الدفاعُ في ليلة العُرس حين نبغي بها وجه الله وحين تقام على شرع الله فتكون فرحة، ولكنها بالإسلام وللإسلام وقد يكون الدفاع عن الدين بالمبادىء الإسلامية التي تعلمها صِغَارِنَا الذين نأملُ من الله أن يكونوا جُنداً من جنود الإسلام يدافعون عنه ويرفعونَ رايته وقد يكون الدفاع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجذب القلوب لدين الله في ذلك العصر الذي انتشر فيه الفساد في كل مكان، فبكلماتنا ودعوتنا إلى الله وصدقنا فيها ندافع عن الإسلام الذي نستمد منه كل معاني الفداء والتضحية والذي يحاول البعض تشويه صورته السمحة بدعوى فاسدة وبكلمات مُغرضة. فمن أحب الإسلام لن يعدم وسيلة يدافع بها عنه ويخدمه بها لأننا نستمد من الإسلام كل هذه الوسائل ونتعلم تحت لوائه معاني الفداء والتضحية، رزقنا الله رجالاً يحملون هَمّ هذا الدين ونساء مسلمات يدافعون عنه في كل مناسبة وفي كل مكان... آمين.

سُمية بنت خياط

أول شهيدة في الإسلام

سمية أمُ عمّار بن ياسر وهي سمية بنت خيّاط وقد كانت أمةُ لأبي حُذيفة بن المغيرة المخزومي،وكان ياسر حليفاً لأبي حُذيفة فزوجهُ سمية، فولدت له عماراً فأعتقه أبو حُذيفة. وكانت من السابقات إلى الإسلام، وكانت ممن يُعذَّبُ في الله عز وجل أشد العذاب(١).

عن ابن إسحاقَ قال: «حدثني رجالٌ من آل عمار بن ياسر أن سمية عَذَّبها هذا الحي من بني المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم على الإسلام وهي تأبى غيره حتى قتلوها، وكان رسول الله ﷺ مرّ بعمَّار وأمه وأبيه وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة(٢)، فيقول: صبراً آل ياسر إنّ موعدكم الجنة»(٣).

ولقد كانت رضي الله عنها أول شهيدة في الإسلام وكانت من السابقات في إظهار الإسلام.

---

(١) أسد الغابة (٧/ ١٥٢) الإستيعاب (٤/ ١٨٦٣، ١٨٦٤).

(٢) «أي في صحراء مكة المحرَقة».

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) الإصابة (٧/ ٧١٣).

قال مجاهد: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وبلال وخَبّاب وصهيب وعمار وسُمَّية، فأمّا رسولُ الله ﷺ وأبو بكر فمنعهما قومهما وأمّا الآخرونَ فأُلبسُوا أدراعَ الحديد ثم صُهِروا في الشمس وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها بحربة فقتلها[(١)] ولما قُتل أبو جهل يوم بدر قال النبي ﷺ لعمار: «قتل الله قاتلِ أمِّك»[(٢)].

وهكذا يُسَطِّرُ لنا التاريخ حياةَ أَوَّلِ شهيدةٍ في الإسلام فهي أول امرأةٍ مسلمةٍ جادت بنفسها في سبيل الله عز وجل، وذلك رغم أنها ذاقت ألوانَ العذابِ فلم تَخَفْ ولم تستسلم بل ثبتت على إسلامها رغم العذاب الذي تفاداه الرجلان (عمار وأبيه) بظاهرِ من الكفر أجرياه على لسانهما وقلبيهما مطمئنان بالإيمان، وقد عَذَرَ اللّهُ أمثالهما بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] فأما المرأة فاعتصمت بالصبر وقرّت[(٣)] على العذاب وأبت أن تُعطي القومَ ما سألوا من الكفر بعد الإيمان فذهبوا بروحها وكانت أولَ شهيدة في الإسلام. وهكذا الإسلام يا أختاه حين تباشرُ حلاوته القلوب فإن أصحابه يهون عليهم كل شيء في سبيل الله. فأين نحن يا أختاه من تلكَ

(١) أسد الغابة (٧/ ١٥٢).
(٢) الإصابة (٧/ ٧١٣).
(٣) قرت: أي ثبتت وتحملت وصبرت.

المؤمنةِ وأين نحن من الصبر على ديننا؟ والاعتصام بربنا والتعلقُ به في محبةٍ خالصةٍ تجعلُ المسلمةَ تتحمل كلَّ الصِّعَاب في سبيل الله؟ وهل نتحمل نحن يا أختاه شيئاً في سبيل الله؟ أم نتراجع لضعف إيماننا وضعف اعتصامنا بالله؟ ولكن لعل تلك السطور القليلة في كميتها، العظيمة في مدلولها ـ والتي سطرها التاريخ عن السيدة سمية ـ تكون خير دليل لنا في طريقنا إلى الله، ولعل مسلمات اليوم يعشن بقلوبهن مع تلك المؤمنات السابقات ويحيين عبر صفحات التاريخ في رحلة الإيمان يتعرفن على ملامح المسلمات السابقات.

رحمك الله يا سيدة سمية يا من سَنَنْتِ سنةَ التضحية بالنفس في سبيل الله لكل المسلمات في العصور التاليات.

صفية بنت عبد المطلب

أول امرأة تقتل مشركاً

صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية عمة رسول الله ﷺ وأم الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وهي شقيقة حمزة أسد الله[1].

وكانت السيدة صفية من ربّات العقل والشجاعة، وقد شهدت العديدَ من غزواتِ رسول الله ﷺ وكانت من المجاهدات الصابرات، ومن المواقف التي سجلّها التاريخ لتلك المجاهدة موقفها يوم أُحد:

«فلما انهزم المسلمون بعد أن خالف الرماةُ أمرَ رسولِ الله ﷺ وانفضَّ أكثرُ الناسِ عن رسولِ الله ﷺ ولم يبق حوله سوى القلائل من أصحابه، قامت السيدةُ صفيةُ تقاتلُ وتدافعُ عن رسول الله ﷺ وأخذت بيدها رُمْحاً تضربُ به في وجوه الفارين المنهزمين والأعداء المشركين، وتقول للمنهزمين: «أنهزتم عن رسول الله فلما رآها رسول الله ﷺ أشفق عليها من أن ترى كيف

(١) أسد الغابة (٧/ ١٧٢) الاستيعاب (٤/ ١٨٢٣).

مَثّلَ المشركون بأخيها حمزة رضي الله عنه، فقال لابنها الزبير بن العوام: «القها فأرجعها لا ترى ما يشقيها»، فلقيها الزبير وقال: فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى. قال: فَلَدَمَت[١] في صدري وكانت امرأة جَلْدة وقالت: «إليك عني لا أرض لك لا أمّ لك» وهنا يرتجف أسد قريش أمام أمه القوية المؤمنة ولكنه يقول لها: «يا أُمَّه إن رسول الله ﷺ يأمركَ أن ترجعي» فوقفت استجابةً لأمر رسول الله ﷺ [وهكذا دائماً المسلمات الصادقات] فقالت السيدة صفية: «ولم؟ فقد بلغني أنه مُثل بأخي وذلك في ذات الله عز وجل قليل، فما أرضانا بما كان من ذلك ولأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله»[٢].

حقاً يا أم الزبير كل شيء يهون في سبيل الله وفي سبيل نصرة دين الله. وتأملي أختاه ذلك الموقف لتلك المؤمنة الصادقة التي لم ترضَ أن تستجيب لابنها ولكن عندما أخبرها أنه أمر رسول الله ﷺ وقفت في استجابة سريعة لأمر رسول الله ﷺ، وهكذا كانت المسلمات الصحابيات كن وقّافات عند أمر الله وأمر رسوله ﷺ، فأين نحن من هذه الاستجابة السريعة لأمر الله ورسوله؟ وكما استجابت لأمر رسول الله ﷺ وسلمت له فقد

(١) فلدمت: أي فضربت.

(٢) سيرة ابن هشام بتصرف. أسد الغابة (٧/ ١٧٣) انظر (الروض الأنف) للسهيلي (٣/ ١٧٢).

سلّمت لقضاء الله في أخيها حمزة ـ رضي الله عنه ـ الذي قتله المشركون ومثلوا به، وصبرت واحتسبت أخاها عند الله ما دام قتل في سبيل الله، فأي صبرٍ هذا وأي سمع وطاعة هذه؟ إنه الإسلام يا أختاه الذي صنع في قلب تلك المؤمنة تلك الرغبة القوية في الدفاع عن دين الله والتضحية في سبيله بكل شيء، إنه الإسلام الذي جعلها تُعظم أمر الله وأمر رسوله.

ولم يسطر التاريخ لنا لتلك المجاهدة ذلك الموقف فحسب، بل نرى في صفحاته موقفها يوم الخندق حيث خرج المسلمون مع رسول الله ﷺ وخلّف النساء والصبيان في حصن حسّان بالمدينة، ولنترك الكلام لحفيدها ابن الزبير لينقل لنا عن أبيه ماذا حدث في حصن حسان. . .

عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت (يعني في وقعة الخندق) قالت: وكان حسان معنا في الحصن مع النساء والصبيان حيث خندق رسول الله ﷺ. قالت: فمر بنا رجل يهودي فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم من يدفع عنا، ورسول الله ﷺ في نحور عدوهم لا يستطيعون أن يتصرفوا إلينا عنهم إن أتانا آتٍ، قالت: فقلت يا حسان: إن هذا اليهودي يطوف بالحصن كما ترى ولا آمنه أن يدل على عوراتنا مَنْ وراءنا

مِن يهود فانزل إليه فاقتله فقال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا؟ قالت صفية: فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئاً احْتَجَزْتُ وأخذت عموداً ونزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته ثم رجعت الحصن[1].

قال يونس: وهي أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين[2].

تأملي تلك المرأة القوية الشجاعة التي خافت أن تكون هي ومن معها من النساء ثغرة يُؤتى الإسلام من قبلها[3]، فنهضت لسدِّ تلك الثغرة في شجاعة وقوة وقتلت اليهودي وسجل لها التاريخ أنها أول امرأة تقتل مشركاً.

وكما حرصت السيدة صفيةُ أن تكون مجاهدة بنفسها في سبيل الله فقد قدمت ولدها الزبير وجعلته من أشدِّ فرسان قريش قوة ومهابة في صدور الأعداء حتى أنهم كانوا يعرفونه بابن صفية فعندما فرّ مالك بن عوف ومن معه من المشركين بعد معركة حنين تعقبهم المسلمون وكان منهم الزبير بن العوام.

قال الواقدي: قال [يعني مالك بن عوف لمن معه من الهاربين]: ما ترون قالوا: «نرى رجلاً بين رجلين مُعلِماً بعصابة

(١) أورده الحاكم (٤/ ٥١) وصححه وأورده الهيثمي في المجمع (٦/ ١٣٤): وقال رواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح. سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٨) مغازي الواقدي (٢/ ٤٦٣).

(٢) أسد الغابة (٧/ ١٧٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٨).

(٣) انظري رسالتي: ثغرات تسدُّها المرأة المسلمة.

صفراء يخيط برجلين في الأرض واضعاً رمحه على عاتقه. قال: ذلك ابن صفية الزبير وأيم الله ليُزيلنَّكم عن مكانكم»[١].

وهكذا صنعت تلك المرأة الشجاعة ذلك البطل الباسل الذي ثغر من أمامه فلول[٢] الأعداء وكانوا يعرفونه بابن صفية. أيُّ فضلٍ حَازَتْهُ ونالته تلك المؤمنةُ القوية الشُّجاعة حين تدافع بنفسها عن دين الله وتُخْرِجُ للإسلامِ بطلاً من أبطاله وسيداً من سادات المسلمين وواحداً من العشرة المبشرين بالجنة، كل هذا حتى تدافع عن الإسلام وتسد الثغرات في مواجهة أعداء الإسلام، فأين نحن من سد تلك الثغرات؟ أين الأم المربية والداعية المجاهدة بالكلمة والمال والنفس؟ أين المؤمنة التي تحملُ همَّ دينها؟ ليت لنا اليوم نساءً بل رجالٌ كصفية.

وصدق الشاعر إذ يقول: [الوافر].

ولـــو أنَّ الـــنـــســـاءَ كَـــمَـــا ذكَـــرْنَـــا
لَـفُـضِّـلَـتِ الـنِّـسَـاءُ عـلـى الـرجـالِ

---

(١) مغازي الواقدي (٣/ ٩١٧).

(٢) فلول: جموع.

الخنساء

الخنساء..... وروعة الصبر في الإسلام

وعبر هذه الصفحات نعيش مع شاعرة كبيرة وصحابية جليلة سَطَّرَ لها التاريخ الكثير من الأشعار والمواقف الرائعة في الإسلام وهي: خنساءُ بنت عمرو بن الشريد السُّلمية. وقال هشام بن الكلبي: صخر ومعاوية وخنساء: واسمها تُماضَر: بنو عمرو بن الشريد[١].

وقد قدمت على رسول الله ﷺ مع قومها فأسلمت معهم فذكروا أن رسول الله ﷺ كان ينشدها ويعجبه شعرها فكانت تنشده ويقول: «هِيهِ يا خُناس»[٢].

وكانت في بادىء أمرها تقول البيت أو البيتين حتى قُتِل أخوها معاوية ثم قُتل أخوها صخر وهو أحبهما إليها، وكان حليماً جواداً محبوباً في العشيرة فلما مات أكثرت في مراثيه ومن قولها: [المتقارب].

---

(١) أسد الغابة (٧/٨٨) الاستيعاب (٤/١٨٢٧) أعلام النساء (١/ ٣٦٠).

(٢) أسد الغابة (٧/٨٨) أعلام النساء (١/ ٢٦٠).

أعـــيـــنـــيَّ جُـــوَدا ولا تَـــجْـــمُـــدا
ألا تـــبـــكـــيـــان لـــصـــخـــرِ الـــنـــدى؟
ألا تـــبـــكـــيـــان الـــجـــريءَ الـــجَـــمـــيـــلَ
ألا تـــبـــكـــيـــان الـــفَـــتَـــى الـــســـيـــدا؟

قال ابن الأثير:

وقد أجمع أهل الشعر أنه لم تكن امرأةٌ قبلها ولا بعدها أشعر منها[١].

وكان لمراثيها أثر كبير فيها وفيمن حولها ولكن مع دخول الإسلام قلبها ومع غزوه لها تحولت الخنساءُ من الرثاء الطويل والبكاء والعويل إلى الصبر الجميل، هذا الصبر الذي يظهر لنا في موقفها في معركة القادسية تلك المعركة التي سجّل لنا التاريخ موقف الخنساء فيها بمداد من نورٍ.

فعن الزبير بن بكار عن أبي وَجْزة عن أبيه قال: «أن الخنساء شهدت القادسية ومعها أربعة بنين لها فقالت لهم أول الليل: يا بنيّ إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إلٰه غيره إنكم لبنو رجلٍ واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خُنْتُ أباكم ولا فضحتُ خالكم ولا هَجّنت[٢] حسبكم ولا غبّرت

(١) أسد الغابة (٧/ ٨٩).
(٢) هجنت: بمعنى خلطت والمعنى أنكم من أصل طيبٍ.

نسبكم وقد تعلمون ما أعدَّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خيرٌ من الدار الفانية يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين. فإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن سَاقِها واضطرمت لظى على سِيَاقِها وجلّلت ناراً على أرواقها فتيمّموا وطيسها[(١)] وجالدوا رئيسها[(٢)] عند احترام خميسها[(٣)] تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة»[(٤)].

فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قولها فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وأنشا أولهم يقول [الكامل]:

يا إخوتي إن العجوزَ الناصحةْ
قَدْ نصحتنا إذ دعتنا البارحة
مقالةٌ ذاتَ بيانٍ واضحةْ
فباكروا الحرب الضروس الكالحة
وإنما تلقون عندَ الصائحة
من آل ساسان الكلاب النابحة

(١) الوطيس: المعركة أو الضرب فيها.

(٢) الرئيس: الأصل.

(٣) الخميس: الجيش.

(٤) أسد الغابة (٧/ ٩٠) الاستيعاب (٤/ ١٨٢٨).

وقد أيقنوا منكم بوقع الجائحة
وأنتم بين حياة صالحة
أو ميتة تورث غنماً رابحَةَ

وتقدم فقاتل حتى مُثل ثم حمل الثاني وهو يقول: [الكامل].

إن العجوزَ ذات حزم وجَلَد
والنظر الأوفق والرأي المسدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحةً منها وبراً بالولد
فباكروا الحربَ حماةً في العدد
إما لفوزٍ باردٍ على الكبد
أو مِيتِةً تُورثكمْ عزَّ الأبد
في جنةِ الفردوسَ والعيشَ الرغد

فقاتل حتى استشهد ثم حُمل الثالث وهو يقول: [مجزوء الكامل]

والله لا نعصي.. العجوز حرفا
قد أمرتنا حرباً وعطفاً
نصحاً وبراً صادقاً ولطفاً
فبادروا الحرب الضروس زحفاً

حــتــى تــلــقــوا آل كــســرى لــفــا
أو يــكــشــفــوكــم عــن حــمــاكــم كــشــفــا
إن نــرى الــتــقــصــيــر مــنــكــم ضــعــفــا
والــقــتــل فــيــكــم نــجــدة وزُلــفــى

فقاتل حتى استشهد ثم حمل الرابع وهو يقول:

لــســت لــخــنــســاء ولا لــلأخــرم
ولا لــعــمــرو ذي الــســنــاء الأقــدم
إن لــم أرد في الجيش حبش الأعجم
مــاضٍ عــلــى الــحــول خــضــم خــضــرم
إمــا لــفــوز عــاجــل ومــغــنــم
أو لــوفــاة فــي ســبــيــل الأكــرم[١]

فقاتلِ حتى قتل وبلغ أمهم الخبر، عند ذلك يمسكُ التاريخُ قلمه ليُسَطِّر موقف الأم الصبورَ وكلماتها الخالدة عبر صفحاته قالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته»[٢].

أي صبر هذا وأي فارق بين رثائها لأخيها الذي تتقطع له

(١) خزانة الأدب (١/ ٢١٠) أعلام النساء (١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠).
(٢) أسد الغابة (٧/ ٩٠) أعلام النساء (١/ ٣٧٠) الاستيعاب (٤/ ٢٩٧) والإصابة (٧/ ٦١٥ ـ ٦١٦).

القلوب وبين صبرها الجميل على أولادها جميعاً، إنه الإسلام يا أختاه إنها التربية الإيمانية للقلب حتى يستسلم لأمر الله ويرضى بقضائه، إنه الحب الكبير لله ورسوله وتقديم كل ما هو غالٍ وثمين في سبيل ذلك الحب. وهكذا كانت الخنساء أم أبطال أربعة قدموا أرواحهم رخيصة في سبيل الله واتبعوا نصيحتها لهم فحرصوا جميعاً على نيل شرف الشهادة في سبيل الله. فأين الأم المسلمة التي تخرج لنا مثل هؤلاء الأبطال الذين يحملون أرواحهم على أكفهم في سبيل الله يُقاتلون من حارب دين الله فيغنمون أو يُقتلون ليكونوا أحياءً خالدين عند الله وفي صفحات التاريخ؟ قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠] رحمك الله يا خنساء يا أم الأبطال.

أم حرام بنت ملحان

امرأة تشتَاقُ إلى الشهادة

أم حرام بنت ملحان أخت أم سليم وخالة أنس بن مالك خادمَ رسول الله ﷺ، وزوجة عُبادة بن الصامت. وكان رسول الله ﷺ يُكرمها ويَزُورها في بيتها ويُقيلُ عندها[1]. وقد سطر لنا التاريخُ عبر صفحاته حبَّ هذه الصحابية الجليلة للشهادة في سبيل الله وشوقها لذلك وصدقها في ذلك.

عن أنس بن مالك عن أم حرام بنت ملحان أن رسول الله ﷺ نام في بيتها فاستيقظ وهو يضحك وقال: «عُرض عليَّ ناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة» قالت: فقلتُ يا رسولَ الله ادعُ الله أن يجعلني منهم قال: «إنك منهم» ثم نامَ فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله ما يضحكك؟ فقال: «عُرض عليَّ ناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة» قلتُ: يا رسولَ الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: «أنت من الأولين» فتزوجها عُبادة بن الصامت

(١) القيلولة: هي الاستراحة عند الظهيرة.

فأخرجها معه فلما جَازَ البحر بها ركبت دابة فصرعتها فقتلتها شهيدة غازية في سبيل الله[١].

تأملي يا أختاه تلك الأمنيات الغالية التي تُعبر عن الهمم العالية، فقد كان همها رضي الله عنها أن تخرج غازية في سبيل الله فتنالُ الشهادةَ في سبيل الله فلم يكن جمعها السفر للترفيه أو لمتاع من متاع الدنيا الفانية بل أرادت أن تغزوا في سبيل الله فليتنا يا أختاه نتعلم من تلك المؤمنة تلك الأمنيات العالية وأن نسأل الله من فضله وأن يرزقنا جوار حبيبه المصطفى ﷺ ويؤهلنا لذلك بتوفيقنا للعمل الصالح. فكل هذه أمنيات غالية لو جعلتها المسلمة المعاصرة هدفها لتغيرت قَلْباً وقالباً فكثيرٌ من الأخوات يتمنين الجاه أو المال؟ ولكن أين من تتمنى حفظ كتاب الله وتجتهد في ذلك؟ وأين من تتمنى الشهادة في سبيل الله وتدعو بذلك؟ أين المسلمة التي لا يشغلها أولادها وبيتها عن طاعة الله وعبادته؟ أين من أحبت الله ورسوله بكل قلبها فباتت تعظم أمره سبحانه وأمر رسوله ﷺ، كل هذه الأمور افتقدناها كثيراً وكل هذا لضعف الهمة والتعلق بالدنيا وزخرفها الفاني نسأل الله أن يجعلها في أيدينا لا في قلوبنا.

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٨٣٤) أسد الغابة (٧/ ١٢٢).

أم شريك بنت جابر

امرأة تدعو لدين الله

أم شريك بنت جابر بن حكيم إحدى المهاجرات السابقات إلى الإسلام، وقد سطر التاريخ عنها نبأً عظيماً وأخبرنا أننا أمام امرأة داعية تحملُ همّ الدين، ولكي نتأمل ملامح شخصيتها دعونا نستمعُ لما كتب عنها.

قال ابن عباس: «وقعَ في قلبِ أم شريك الإسلام وهي بمكةِ، فأسلمت وجعلت تدخلُ على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن في الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا لها: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سَنَرُدُّكِ إليهم».

قالت: فحملوني على بعيرٍ ليسَ تحتي شيء موطأ ولا غيره ثم تركوني ثلاثاً واستظلوا وحبسوا عني الطعام والشراب حتى يرتحلوا، فبينما أنا كذلك إذا بأثر شيءٍ باردٍ وقع عليّ منه ثم عاد فتناولته فإذا هو دلو ماء فشربتُ منه قليلاً ثم نُزِع مِني، ثم عادَ فتناولته فشربت منه قليلاً ثم رُفع ثم عاد أيضاً فصنع ذلك مراراً حتى رويت ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي فلما استيقظوا

إذا هم بأثر الماء ورأوني حسنة الهيئة فقالوا لي: انحللت فأخذتِ سقاءنا فشربتِ منه؟ فقلت: «لا والله ما فعلت ذلك كان من الأمر كذا وكذا» فقالوا: «لئن كنت صادقة فدينك خيرٌ من ديننا فنظروا إلى الأَسقية فوجدوها كما تركوها فأسلموا لساعتهم»[١].

تأملي أختاه تلك الكرامة لتلك المرأة الفاضلة التي كان لها عند الله شأناً فسقاها من لدنه شراباً طيباً وكان من بركتها أن كانت سبباً في إسلام من كان معها.

كما أن هذه المرأة لم تكن امرأة عادية بل هي امرأة ذات وصف مخصوص، فهي داعية تدعو لدين الله وتُرغبُ فيه، هي امرأة تحمل همّ الدين وتسعى لجذب القلوب الغافلة عنه إليه ولم تتكاسل بحجة أنها امرأة بل قامت تنشر الدين بين صفوف المشركات وعمدت إلى ذلك طلباً لرضا الله عز وجل فأكرمها الله وجعلها بركة على من كان معها.

إن السيدة أم شريك لم تنشغل بحُطام الدنيا الفاني فمنذ أن غزا الإسلام قلبها بدأت تعمل على تجميع القلوب حول هذا الدين الذي آمنت به وصدقته.

فأين داعية الإسلام اليوم؟ أين من تحمل همّ الدعوة وتسعى لجذب القلوب لدين الله وتسعى لكي تكون شمعة مضيئة تنير

(١) الإصابة (٢٤٨/٨) حلية الأولياء (٩٦/٢) صفة الصفوة (٣٨/٢).

الطريق أمام المسلمات الغافلات وما أكثرهن هذه الأيام أسأل الله أن تجد كلماتي لقلوب أخواتي أذناً صاغية وقلباً واعياً وأذكرهن بقوله تعالى:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله:

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

كبشة بنت رافع بن عبيد بن معاوية

أم سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمٰن لموته

ومن النساء الخالدات اللاتي سجل لنا التاريخ اسمَها في سجل الأمهات الخالدات السيدة كبشة بنت رافع بن عبيد وهي أم سعد بن معاذ[(١)] رضي الله عنه، وقد عدّها ابن سعد من أوائل المبايعات.. قال: أول من بايع النبي ﷺ: أم سعد بن معاذ كبشة بنت رافع وقد كانت من المسلمات الصالحات اللاتي حملن همَّ الإسلام وبذلن أولادهن في سبيل نُصرة الإسلام، ومما جاء من مواقفها التي سطرها لنا التاريخ موقفها يوم أحد: استقبلت السيدة كبشة الوافدين في غزوة أحد وقد أرسلت معهم ابناها مقاتلين مدافعين عن دين الله فخرجت لتطمئن على رسول الله ﷺ تنظر في وجوه العائدين وتبحث عن ولداها وقد استُشهد أحدهما في القتال.

جاء في السيرة الحلبية: «قبل أن يدخل الرسول ﷺ المدينة جاءت أم سعد بن معاذ سيد الأنصار ـ رضي الله عنه ـ تعدو نحو

---

(١) الطبقات (٨/ ١٢).

رسول الله ﷺ وهو على فرسه وسعداً آخذاً بلجامها فقال سعد: «يا رسول الله... أمي فقال: مرحباً بها» فوقف لها فلما دنت من رسول الله ﷺ عزّاها بابنها عمرو بن معاذ وقد استشهد في أحد وله اثنتان وثلاثون سنة فقالت: أما إذا رأيتك سالماً فقد اشتويت[١] المصيبة.

ثم دعا رسول الله ﷺ لأهل من قتل في أُحد وقال يا أم سعد: «أبشري وبشري أهليهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً وقد شُفّعوا من أهلهم جميعاً» قالت: «رضينا يا رسول الله ومن يبكي عليهم بعد هذا، ثم قالت: يا رسول الله ادع الله لمن خلفوا منهم» فقال ﷺ: «اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا»[٢].

وهكذا سطر التاريخ لنا موقف تلك الأم الصبور التي جَادَتْ بولدها في سبيل الله وهي راضية، والتي أحبت الله ورسوله ﷺ حتى هانت عليها مصيبتها في ابنها وسلّمت فيه لأمر الله الذي لم يحرمها من البشرى على لسان رسوله ﷺ، فأخبرها بأن كل قتلى أُحد في الجنة ففرحت لذلك ولكن بذكاء المؤمنة أرادت أن تحصل على دعوة من رسول الله ﷺ فدعا لها ﷺ ولكل من خلف شهداء أُحد.

(١) أي استقللت.

(٢) السيرة الحلبية (٢/ ٤٧).

ما أعظمها من أم وما أعظمها من مؤمنة صابرة سلّمت لأمر الله ورضيت ولم تكن كذلك فحسب، بل جاءت بولدها الآخر سيدنا سعد بن معاذ في غزوة الخندق، جاء عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ:

كنا في أُطْم بني حارثة قبل الحجاب ومعنا أم سعد بن مُعاذ، فمر سعد بن معاذ يومئذ وعليه دِرْعٌ له مشمرة عن ذراعيه، والله إني لأخاف عليه يومئذ من تشميره دِرعه ما أصابه ومرَّ يرْفُل وفي يده الحربة وهو يقول [المنسرح]:

لَبِّثْ قليلاً يُدرِكِ الهيجا حَمَل

ما أحسن الموت إذا حان الأجل

وأمه تقول: الحق برسول الله يا بُني وقد والله تأخرت، فقلت: «والله يا أم سعد لوددت أن درع سعد أُسبغ على بِنانِه، قالت[1]: يقضي الله ما هو قاض»[2].

تأملي يا أختاه تلك الشجاعة من الأم والابن فأي أم تدفع بولدها إلى القتال بهذه الصورة وتأمره أن يُسرع حتى لا يتأخر عن رسول الله ﷺ؟ وأي شجاعة تلك التي كانت لسيدنا سعد بن معاذ؟ ومن ربّاه عليها؟ ولقد أُصيب رضي الله عنه بسهم في ذلك

(١) والمعنى أن يستر الدرع جميع أصابعه.
(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٤٦٩).

اليوم وكان ذلك سبباً في وفاته شهيداً في سبيل الله لتصبح السيدة كبشة أم الشهيدين اللذين جادت بهما لعلهما يشفعان فيها عند الله.

وقد حزنت أم سعد عليه حزناً شديداً ولكنها سلَّمت فيه لأمر الله كما سلَّمت في أخيه ومما جاء في ذلك: عن إبراهيم بن الحصين عن المِسْورَ بن رِفاعة قال: «جاءت أم سعد ـ وهي كبشة بنت عبيد ـ تنظر إلى سعد في اللحد فردها الناس فقال رسول الله ﷺ: دَعوها فأقبلت حتى نظرت إليه وهو في اللحد قيل أن يُبنى عليه اللَّبن والتراب فقالت احتسبتك عند الله»[(١)]. تقول أم عَطية الأنصارية: أُخذ علينا عند البيعة ألا نوح فما وفَّى منّا غير خمس وذكرت منهن أم معاذ وامرأة معاذ[(٢)].

وهكذا صبرت أم سعد واحتسبته عند الله فأي صبر هذا يسجله لنا التاريخ عن تلك الأم الخالدة التي مهما بكت على ولدها لن توفيه حقه، فقد قال رسول الله ﷺ: «كل باكية مُكْثِرة إلا أم سعد ما قالت من خير فلن تكذب»[(٣)] رحمك الله يا أم سعد وجمعنا بك في مستقر رحمته ورزقنا أمهات مثلك في التضحية يَجُدْن بأفلاذ أكبادهن في سبيل الله.

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٥٢٩).
(٢) الطبقات (٨/ ٨).
(٣) الاستيعاب (٤/ ١٩٠٧) أسد الغابة (٧/ ٢٤٨).

زنيرة الرُّومية

ربي قادرٌ على رد بصري

ومن الذين سجّل لنا التاريخ كرامتهم بمداد من نور السيدة زِنّيرة الرومية، وكانت من السابقات إلى الإسلام وقد عذّبها المشركون عذاباً شديداً فكانوا يحملون لها مكاوي الحديد ثم يضعونها بين أعطاف جلدها، ويدعون الأطفال يعبثون بعينها حتى ذهب بصرها رضي الله عنها[1] ومما جاء في ذكرها:

«كانت مولاة بني مخزوم فكان أبو جهل يُعذّبها فلما أسلمت عَمِيت فقال المشركون: أَعْمَتْهَا اللاَّت والعُزَّى لكفرها بهما فقالت: وما يدري اللات والعُزى من يعبدهما إنما هذا من السماء وربي قادرٌ على ردِّ بصري فأصبحت من الغد وقد ردّ الله بصرها»[2].

تأملي أختاه ثبات تلك المؤمنة المسلمة على إيمانها وتحملها العذاب الشديد الذي لا يطيقه كثير من الرجال فما بالك

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١٢٦) الإصابة (٨/ ٢٥٧).
(٢) الاستيعاب (٤/ ١٨٤٩) أسد الغابة (٧/ ١٢٣).

بالنساء؟ ولكن الإيمان الذي يغزو القلوب هو الذي ثبتها به الله عزّ وجل وأكرمها وأعلا فضلها فلما وثقت في رحمته ونُصرته ردّ عليها بصرها كي ينصرها على المشركين الذين يعبدون أسماء لا تضر ولا تنفع، ولكنها تعبد رب السماء وتعلم أن كل قضاء ينزل عليها فإنه من رب السماء ولا يكون إلا خيراً وهو قادر على أن ينصرها عليهم. وكان ما أرادت، فردّ الله عليها بصرها كرامة لها رضي الله عنها. فأين نحن يا أختاه من هذا الإيمان وتلك الثقة في كل أمورنا؟ وأيضاً الرضا في كل قضاء يقضيه الله لقد قالت السيدة زنيرة: «وربي قادر على رد بصري» فتأملي قولها ربِّي أي خالقي وسيدي ومُدبر أمري ومن يرزقني السمع والبصر ومن يرزقني النصر عليكم، فهل لنا من فهم لتلك المعاني وأن نعيش في معية الله دوماً نستعين به على أعدائنا وفي كل أمورنا لكي نكون من أولياء الله الصالحين قال تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

ريطة بنت عبد الله

تعمل بيديها وتتصدق على زوجها وأولادها

وقد سجل لنا التاريخ مواقف لنساء لم تشغلهن الدنيا عن الآخرة فكانت الدنيا بالنسبة لهن مزرعة يبغين فيها الحصاد في الآخرة. ومن هؤلاء ريطة بنت عبد الله أو زينب الثقفية ريطة بنت عبد الله بن معاوية الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود، ويُقال رائطة وقيل: إنها زينب وإن رائطة لقب لها وقيل ريطة زوجة أخرى له[(١)]. ومما جاء عنها أنها قالت لزوجها وهي امرأة صَناعاً[(٢)] وليس لعبد الله بن مسعود زوجها مال، فكانت تنفق عليه وعلى ولده من ثمن صنعتها، ولكنها خافت ألا يكون لها أجراً من ذلك وأن يكون أولادها وزوجها قد شغلوها عن الصدقة ابتغاء مرضات الله. فذهبت تحُثُّ الخُطى إلى رسول الله كي تعلم أي الصدقات خير أعلى الزوج والأولاد أم لغيرهم؟ فسألت رسول الله ﷺ فقالت: «إني امرأة ذات صَنْعة فأبيع وليس لي ولا

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٧/ ١٢١).

(٢) أي ذات صنعة ومهنة.

لولدي ولا لزوجي شيء، ويشغلونني فلا أتصدق فهل لي في النفقة عليهم من أجر؟ فقال ﷺ: لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم فأنفقي عليهم»[1] وقد جاء في الصحيح: عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة»[2] والنساء شقائق الرجال، هكذا المؤمنة الصالحة دائماً حريصة في كل عمل تقوم به على الأجر والجزاء فهي دائماً ترجو ما عند الله وترجو أن تكون دنياها مزرعة لآخرتها فتحرص على أن يكون كل عمل ـ ولو دنيوي ـ له الأجر والثواب عند الله فما عند الله خير وأبقى وهكذا تحتسب المؤمنة كل عمل لوجه الله الكريم.

فكوني كذلك يا أختاه وليكن يومك وطعامك وشرابك ورعايتك لبيتك وحفظك لمالك وزوجك وأولادك كل ذلك ليكن لله «فإنما الأعمال بالنيات» فأخلصي النية لله في كل عمل واحتسبيه عنده حتى يبارك الله لكِ فيه وينقله منك فيكون تعبك في الدنيا له جزاء عند الله، وما أجمل هذا الجزاء إنه جنة عرضها السمٰوات والأرض أعدت لمن استجاب لنداء الله، قال تعالى:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

(١) أسد الغابة (٧/ ١٢١) طبقات ابن سعد (٨/ ٢١٢) الاستيعاب (٤/ ١٨٤٨).
(٢) البخاري (٥٣٥١) كتاب النفقات.

أسماء بنت يزيد بن الأشهلية

وَافِدة النساء على رسول الله ﷺ

ومن النساء اللاتي سجّل التاريخ لهن بين سطوره مواقف مشرقة السيدة أسماء بنت يزيد الأنصارية من بني عبد الأشهل. وكانت رسول النساء إلى النبي ﷺ ومما جاء عنها ما روى عنها مسلم بن عبيد: أنها أتت النبي ﷺ، وهو بين أصحابه فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله ـ عز وجل ـ بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلاهك وإنّا معشر النساء مَحْصُورَات مَقْصُورَات قواعد بُيُوتِكم ومَقَضى شهواتكم، وحاملات أولادكم وإنكم ـ معشر الرجال ـ فُضّلتم علينا بالجُمَع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله ـ عز وجل ـ، وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حَفِظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم وربَّينا لكم أولادكم أفما نشارككم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: «هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مُسَاءَلتها في أَمر دينها

من هذه؟» فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي ﷺ إليها فقال: «افْهَمِي أيتها المرأة وأَعلِمي من خلفك من النساء أن حسن تَبَعُّل[١] المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يَعْدل ذلك كله» فانصرفت وهي تُهَلِّل[٢].

وهكذا يا أُختاه سجّل لنا التاريخ تلك البشارة بسؤال تلك المرأة المسلمة التي شهد لها الرسول ﷺ بحسن كلامها ورجاحة عقلها وقد كانت السيدة أسماء في ذلك الموقف وَافِدة النساء على رسول الله ﷺ لتسأله عن المرأة المسلمة وما لها من الأجر والثواب في خدمة بيتها ورعايتها شؤونه، فأخبرها النبي ﷺ أن حسن مصاحبة المرأة لزوجها تعدل جهاده وحجته وتعدل ما مُيِّز به من صلاة في الجماعة والجمعُ وغيره. رحم الله أسماء فمن روعة وبلاغة كلامها يعجز القلم أن يُعبر عن هذه الكلمات أو يُعلق عليها، فهي كلمات واضحة بليغة تدل على عقلية فريدة في زمانها فعليك أختي المسلمة بمراعاة الكلام في سؤالك لغيرك أو في أحاديثك معهم حتى يكون كلامك دليلاً على رجاحة عقلك، واتركي التفاهات واللغو في الكلام ولتعملي ببشرة حبيبك

(١) أي حسن مصاحبتها لزوجها وحسن رعايتها له.
(٢) الاستيعاب (٤/ ١٧٨٧) أسد الغابة (٧/ ١٩) والحديث في مسند أحمد (٦/ ٤٥٨).

المصطفى ﷺ فتُحسني الصحبة لزوجك لتكوني له أمّاً وأَمَة ولتكوني له أختاً وبنتاً وصاحبة حتى تدوم المودة بينكما فينصلح بذلك حال بيتكم المسلم وبالتالي مجتمعنا المسلم.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

أم كلثوم بنت عقبة

امرأة هاجرت إلى الله ماشية

أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيط أخت الوليد بن عُقبة وهي أُخت سيدنا عثمان بن عفان لأمه[1].

أسلمت بمكة قديماً وصلّت القبلتين وبايعت رسول الله ﷺ وهاجرت إلى المدينة ماشية[2].

خرجت السيدة أم كلثوم وفارقت حذرها ومستقر أمنها ـ وهي ابنة سيد من سادات قريش ـ خرجت تحت جنح الليل فريدة شريدة تطوى بها قدماها ثنايا الجبال وأغوار التهائم بين مكة والمدينة إلى مَفْزَع دينها إلى رسول الله ﷺ ـ لم تخف شيئاً لأنها في حفظ من هو خالق كل شيء لأنها هاجرت تبتغي وجهه وتبتغي الفرار بدينها من أرض الفتن، فخرجت ماشية وتَعَقَّبَها أخواها الوليد وعُمَارة ابنا عُقبة إلى رسول الله ﷺ يطلبانها فأبى أن يَرُدَّها عليهما[3].

(١) نسب قريش ١٤٧.
(٢) أسد الغابة لابن الأثير (٧/ ٣٨٦).
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦).

وقال المفسرون: فيها نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠][١].

وهكذا سجّل التاريخ لتلك المرأة المسلمة هجرتها وفرراها بدينها ماشية أيّ قوة تلك التي منحتها تلك القوّة والقدرة على السير مشياً عبر الصحاري؟ إنها قوة الإيمان جعلتها لا تبالي بالمشي والتعب، جعلتها لا تخاف شيئاً في طريقها فهي تعلم أنها في رعاية الله. فهل لنا يا أختاه من هجرة من المعاصي إلى الطاعات ومن حب الدنيا إلى التعلق بجنة عرضها السمٰوات والأرض؟ وإن شقّت تلك الهجرة على نفوسنا فليست أشق من المشي في ظلمات الليل من مكة إلى المدينة فلنسأل الله أن يقوي إيماننا حتى يرزقنا هجرة خالصة إليه.

أختاه: فرغم أن الظلم يعلو... والحق يُحاصر، ورغم أن الفساد يموج حولنا فالحق يعلو فوق كل ذلك... ومن الهجرة البداية.... هاجري إلى ربك[٢].

(١) تفسير القرطبي: (١٠/ ٦٧٨٥، وابن كثير (٤/ ٣٥٠) وسيرة ابن هشام: (٢/ ٣٢٥).

(٢) لا أقصد بالهجرة السفر ولكني قصدت الهجرة من الجاهلية إلى الإسلام لتعيشي في ظل الإسلام قولاً وعملاً.

معاذة بنت عبد الله

امرأة نزل فيها قرآن

وهي مَوْلاَة عبد الله بن أبيّ ابن سلول وفيها نزلت ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣] وكان عبد الله بن أبيّ ابن سلول يُكرهها على ذلك فرفضت، وذلك لإسلامها[١]. فقد أسلمت وبايعت النبي ﷺ وكانت عند عبد الله بن أبيّ بن سلول وكان عنده أسير فكان عبد الله يضربها لتمكنه من نفسها رجاء أن تحبل فيأخذ في ذلك فداء وهو العرض الذي ذكره الله في الآية وقال الزهري: كانت مسلمة فاضلة فأنزل الله ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ ثم إنها أُعْتِقِت وتزوجت من سهل بن قرظة[٢][٣].

وهكذا تكون المسلمة عفيفة فاضلة فيذكرها التاريخ بالعفاف والفضل حتى ولو كانت أمة وليست حرّة وقد كرّم الله هذه المرأة

---

(١) انظر تفسير ابن كثير: (٣/ ٢٧٩) والقرطبي: (٦/ ٤٧٩١) والاستيعاب (٤/ ١٩١٣).

(٢) أسد الغابة لابن الأثير (٧/ ٢٦٧).

(٣) سهل بن قُرظة بن قيس بن عنترة شهد أُحد مع النبي ﷺ، أسد الغابة (٢/ ٤٧٥).

المسلمة حتى نزل فيها القرآن الذي يوضح رفضها للفاحشة لأنها مسلمة علّمها الإسلام في ظلاله العفة والعفاف. فهل لفتيات الإسلام الحرائر من الاقتداء بهذه المرأة العفيفة فيحرصن على العفة وستر العورات وحسن الخلق، عسى أن يذكرهن التاريخ بعد ذلك بالسيرة الطيبة لأن الإسلام والطاعة يُعليان من شأن المسلمة الملتزمة بهما، ويرفعان ذكرها في التاريخ فيكتب اسمها بمداد من نور أنها (سيدة مسلمة فاضلة) كما قال الزهري عن السيدة مُعاذة. فلتستجيبي يا أختاه لنداء العفة والعفاف لأمرالحجاب فقد أمرك به ربك وخالقك، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩].

أسماء بنت أبي بكر

ذات النطاقين

أسماء بنت أبي بكر من أوائل المسلمات اللاتي حصلنْ على شرف السبق إلى الإسلام والدفاع عنه فكانت من خير المجاهدات. جاهدت بأبيها وبماله وجاهدت بنفسها، وجاهدت بعد ذلك بأبنائها فقدمتهم للحق شُهداء في سبيل الله وكيف لا تكون مُجاهدة بكل معنى الكلمة وهي المؤمنة الصادقة التي تربت في بيت الصديق الذي قال عنه الله: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠].

وأسماء هي أخت أم المؤمنين عائشة وعُمِّرت دهراً وقيل أنها أطول المهاجرات حياة وهي آخر المهاجرات وفاة، روت عدت أحاديث وتُعرَف بذات النطاقين(١).

ولقد سجّل لنا التاريخ صفحات حافلة بالمواقف العظيمة لتلك السابقة إلى الإسلام فلقد كانت خير مجاهدة في الهجرة النبوية ويظهر ذلك في عدة أحاديث.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٨).

عن هشام بن عُروة عن أبيه وفاطمة بنت المنذر عن أسماء قالت: صَنَعتُ سُفْرة النبي ﷺ في بيت أبي، حين أراد أن يهاجر فلم أجد لسُفْرته ولا لسِقَائه ما أربطُهُما فقلت لأبي ما أجد إلا نطِاقي، قال: شُقِّيه باثنين فاربِطي بهما. قال: فلذلك سُمِّيَتْ ذات النطاقين[١].

وهكذا كانت السيدة أسماء من أول جنود الرسول ﷺ الذين حرصوا على تقديم كل ما يستطيعون من عون لخدمة الله ورسوله، فأعدَّت طعام الرسول ﷺ في الرحلة المباركة رحلة الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام. وعن ابن إسحاق: حُدِّثتُ عن أسماء قالت: أتى أبو جهل في نفر فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك؟ قلتُ: لا أدري ـ والله ـ أين هو؟ فرفع أبو جهل يَدَه ولطم خدِّي لطمة خرَّ منها قُرطي ثم انصرفوا[٢].

وهكذا تكتم المؤمنة السر وتتحمل لطم خدّها وهي صابرة لأنها مؤمنة تعلم أن في سلامة رسول الله ﷺ سلامة للإسلام وللعالم أجمع. وقد ثبتت السيدة أسماء وكانت من جنود رسول الله ﷺ وعندما استقر لرسول الله ﷺ الأمر في المدينة هاجرت السيدة أسماء ولكن كيف هاجرت لقد كانت حاملاً في

(١) البخاري (٧/ ١٩٣، ١٩٤) وأحمد (٦/ ٣٤٦).
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٨) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٠).

أواخر أيام حملها ووضعت بقباء[١]. فأي قوة هذه التي تجعل امرأة تخرج من مكة إلى المدينة وهي حامل في أواخر أيام حملها إنه الجهاد والفرار بالدين من دار الكفر إلى ديار الإيمان ذلك الفرار الذي جعل مشقة الطريق لا تساوي شيئاً في سبيل القُرب من رسول الله ﷺ في دار تعلو فيها «لا إلٰه إلا الله».

وعن ابن الزبير قال: نزلت هذه الآية في أسماء وكانت أمها يُقال لها: قُتَيلة جاءتها بهدايا فلم تَقْبَلْها حتى سألت النبي ﷺ فنزلت: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٨][٢].

وفي الصحيح قالت أسماء: يا رسول الله إن أمي قدِمت وهي راغبةٌ[٣] أَفَأَصِلُها؟ قال: «نعم صِلِي أمك»[٤].

وهكذا كان كل شيء في حياتها لله، هي جندة من جنود الله قلبها لله وحبها لله ورسوله، يعلو فوق كل حب حتى ولو كانت أمها أقرب الناس إليها ولكن صوت الإيمان يعلو فوق كل صوت. وكما علا فوق صوت نداء المحبة لأُمها، فقد علا

(١) أسد الغابة (٧/ ٩).

(٢) البخاري (١٣/ ١٧ ـ ١٨) باب صلة الوالد المشرك، مسلم (١٠٠٣) وله اللفظ، طبقات ابن سعد (٨/ ٢٥٢) أحمد (٤/ ٤).

(٣) راغبة: أي مشركة.

(٤) البخاري (٦/ ٢٠١) في الجزية، ومسلم (١٠٠٣) في الزكاة، وأبو داود (١٦٦٨).

صوت الإيمان والدفاع عن الحق فوق صوت أمومة أسماء نفسها فقد قدمت ابنها عبد الله شهيداً في سبيل الله، ولقد كان لهذا الأمر قصة نعرفها من أولها لأن لابنها عبد الله بن الزبير شأن عظيم فلقد جعلها التاريخ بموقفها مع ابنها في سجل الأمهات الخالدات. ومما روى في ذلك عن عروة: دخلت أنا وأخي قبل أن يُقتل بعشر ليال على أمنا وهي وَجِعة فقال عبد الله: كيف تجدينك؟ قالت: وجعة. قال: إنّ في الموت لعافية. قالت: لعلك تشتهي موتي، فلا تفعل وضحكت وقالت: والله ما أشتهي أن أموت حتى تأتي على أحد طرفَيْك: إما أن تقتل فأحتسبك، وإما أن تظفر فتقر عيني[١].

ولهذا الأمر قصة فقد بويع عبد الله بن الزبير بالخلافة ـ بعد وفاة يزيد بن معاوية ـ ودانت (خضعت) له الحجاز واليمن والعراق وخراسان، وظل تسع سنين ينادى بأمير المؤمنين حتى رماه عبد الملك بن مروان بالحجاج بن يوسف الثقفي فأخذ يطوي بلاده حتى انتهى إلى مكة فطوّقها ونصب المجانيق على الكعبة وأهوى الحجارة عليها وتفرّق عن عبد الله بن الزبير أكثر من كان معه، وهنا يعرض لنا التاريخ موقف الأم الصبور من ابنها وفلذة كبدها ومما رواه لنا:

(١) تاريخ دمشق تراجم النساء ص ٢٣، وصفة الصفوة: (٢/ ٤١ ـ ٤٢)، وانظر حلية الأولياء: (٢/ ٥٦).

«دخل عبد الله على أمه في اليوم الذي قُتل فيه فقال لها: يا أُمَّه خذلني الناس حتى أهلي وولدي ولم يبق معي إلا اليسير ومن لا دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار وقد أعطاني القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك؟

فقالت: الله الله يا بني إن كنت تعلم أنك على حق تدعو إليه فامض عليه ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية فيلعبوا بك، وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن معك. وإن قلت إني كنتُ على حق فلما وهن أصحابي ضعفت نيتي فليس هذا فعل الأحرار ولا من فيه خير كيف خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن ما يقع بك يا ابن الزبير والله لضربة بالسيف في عِزٍّ أحبُّ إلي من ضربة بالسوط في ذل. فقال: يا أماه أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني. قالت: يا بني إن الشاه لا يضرها السلخ بعد الذبح فامضِ على بصيرتك واستعن بالله.

فَقَبَّلَ رأسها وقال لها: هذا والله رأيي والذي قمت به داعياً إلى الله والله ما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تنتهك محارمه ولكني أحببت أن أطّلع على رأيك فيزيدني قوة وبصيرة إلى قوتي وبصيرتي. فانظري يا أماه فإني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك وسَلِّمي لأمر الله.

قالت: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً.

قال: جزاك الله خيراً فلا تدعي الدعاء لا قبل قتلي ولا بعده.

ثم قالت: لا أدعه أبداً ممن قتل على باطل فكيف وقد قتلت على حق وقالت: «اللهم ارحم طول ذلك القيام بالليل الطويل وذلك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة وبرّه بأمه، اللهم إني قد سلمت فيه لأمرك ورضيت فيه بقضائك فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين»[١] وخرج عبد الله وقُتل في ذلك اليوم. فتأملي يا أختاه أسماء الأم وهي تجود بفلذة كبدها وهي العمياء البصيرة التي شاب رأسها ولكن لم يشب الإيمان في قلبها، هذا الإيمان الذي جعلها تدفع بابنها ليموت في سبيل الحق وهكذا نربيه على العزة «لضربةٌ بالسيف في عزٍّ خير من ضربة بالسوط في ذل» ويموت ابنها شهيداً ويزداد الموقف شدة على قلب أسماء الأم فيصلبه الحجاج زيادة في الإرهاب. وكما سجل التاريخ كلماتها مع ابنها عبد الله بمداد من نور يسطر لنا موقفها مع الحجاج في سطور تُعلن للعالم أن الإسلام جاد بنساء ثابتات صادقات لا تأخذهن في الله لومة لائم. وقد روى ابن حزم عن صفية بنت شيبة أن ابن عمر دخل على أسماء فعزّاها فقالت: «وما تمنعني وقد أهدي رأس يحيى إلى بغي من بغايا بني إسرائيل»[٢]. فصبر أسماء لم يكن إلا احتساباً لوجه الله تعالى فإنها تعلم أنّ المسلم صاحب القضية وصاحب الحق لا يخافُ من الموت في سبيله.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ١٣٥) والبداية والنهاية (٨/ ٣٢٩ ـ ٣٤٥).
(٢) المحلى لابن حزم (٢/ ٢٢) وانظر سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

عن أبي نوفل قال: لما قتل الحجاجُ ابنَ الزبير وصلبه على طريق المدينة مرَّ به عبد الله بن عمر فوقف عليه وقال: السلام عليك أبا حبيب والله لقد كنت أنهاك عن هذا ـ ثلاثاً ـ والله لقد كنت صوّاماً قوّاماً وصُولاً للرحم والله لأُمَّةً أنت شرُّها لنِعْمَ تلك الأمة. ثم مضى فبلغ الحجاج ذلك فأرسله وأنزله وألقاه في مقبرة اليهود، ثم بعث إلى أسماء فقال: لتأتِن أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك. قالت: والله لا أتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني قال: هاتوا سِبْتيّ[1]، فانتعل بهما ثم مضى حتى دخل عليها ـ وذلك بعدما ذهب بصرها ـ فقال لها: كيف رأيت صنيعي بعدو الله ابن الزبير؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليكَ آخرتك. ولقد بلغني أنك كنت تعيّره بابن ذات النطاقين فأما نطاق فكنت أحمل فيه طعاماً لأبي ولرسول الله ﷺ وهما في الغار، وأما النطاق الآخر فلا بُد للمرأة من نطاق. ثم ذكرت حديث رسول الله ﷺ: «أنه سيخرج من ثقيف رجلان كذاب ومُبير» فأما الكذاب فقد رأيناه[2] وأما المبير فلا أخاله إلا أنت[3] فخرج من عندها متغيراً[4].

(١) السِّبت: جلود البقر المدبوغة تحذى منه النِّعال.
(٢) تقصد به المختار بن عبيد الثقفي.
(٣) المُبير هو السفاح القتّال.
(٤) الإصابة (٢/ ١١٥)، تاريخ دمشق تراجم النساء لابن عساكر ص ٢٥.

هكذا يُسجل لنا التاريخ بطولة أسماء فهي العجوز القوية العمياء البصيرة تقف في وجه الحجاج في كل قوة وثبات. أي قوة هذه إنها قوة الإيمان.

تأملي أختاه ذلك التاريخ الحافل للسيدة أسماء المجاهدة الصابرة المحتسبة التي جادت بابنها في سبيل الحق وصبرت على موته وصلبه، وواجهت قوة الشر في قوة وثبات تعجز عنها كثير من الرجال، فأين نحن من أسماء وغيرها من الأمهات الخالدات اللاتي كانت كل غايتهن نصرة الحق وإخراج جيل مسلم يرفع لواء الإسلام وأخيراً؟ وقبل أن يطوي التاريخ صفحاته تُسلم السيدة أسماء ولدها الذي دعت أن لا تموت حتى تُغسله وتكفنه وتدفنه، فاستجاب الله دعاءها كرامة لها وأرسل عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بأن يُسلم لها ابنها وأوصاه بها خيراً.

وهكذا عاشت أسماء صابرة ومحتسبة وتحملت المصيبة في قوة إيمان وأكرمها الله بدفن ابنها ولم تمكث بعده إلا عشرة أيام وقيل عشرون ثم أسلمت الروح إلى بارئها وقد بلغت المائة عام. مائة عام من الصبر والجهاد والإيمان ليطوي لنا التاريخ سيرة تلك المرأة المؤمنة «أسماء ذات النطاقين».

أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ

تبكي لانقطاع وحي السماء

أم أيمن، مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته واسمها بَرَكة وهي حبشية وقد أسلمت قديماً أول الإسلام وهاجرت إلى الحبشة وإلى المدينة وبايعت رسول الله ﷺ[1]. وقد جاء في خبر هجرتها عن عثمان بن القاسم قال: خرجت أم أيمن مهاجرة إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وهي ماشية ليس معها زاد وهي صائمة في يوم شديد الحر، فأصابها عطش شديد حتى كادت تموت عطشاً. قال: وهي بالروحاء أو قريباً منها قالت: غابت الشمس إذا أنا بحفيف شيء فوق رأسي، فرفعت رأسي فإذا أنا بدلو من السماء مُدلىً برشاء[2] أبيض قالت: فدنا مني حتى إذا كان بحيث أستمكن منه تناولته فشربت منه حتى رويت، قالت: فلقد كنت بعد ذلك في اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش فما عطشت بعدها[3]. وقد تزوجها سيدنا زيد بن

---

(١) أسد الغابة (٧/ ٣٠٣).

(٢) الرُّشاء: الحبل وجمعه أرشية.

(٣) صفة الصفوة (٢/ ٣٩).

حارثة وأنجبت له أسامة بن زيد حِبّ رسول الله وابن حِبٌ رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يقول: «أم أيمن أمي بعد أمي وكان يزورها في بيتها»(١).

وعن أنس ﷺ قال: ذهبتُ مع النبي ﷺ إلى أم أيمن نزورها فقرّبت له شراباً فلا أدري أصادفته صائماً أو لم يُرده فجعلت تصخب عليه وتذمَّر عليه. فلما توفي النبي ﷺ قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: مُرّ بنا على أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها. فلما رأتهما بكت فقالا لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما أبكي إني لأعلم أن رسول الله ﷺ قد صار إلى خير مما كان فيه، ولكن أبكي لخبر السماء انقطع عنا فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها(٢).

تأملي أختاه تلك المرأة المسلمة تبكي لانقطاع وحي السماء، يموت رسول الله فبموته ﷺ انقطع الوحي وهو الصلة التي كانت تصل أهل الأرض بالسماء. فكان الوحي ينزل بالأوامر والنواهي وينزل بكلام الله الذي هو شفاء للمؤمنين، والمؤمنات الصادقات اللاتي ترتبط قلوبهن بكتاب ربهنّ فيتلونه آناء الليل وأطراف النهار يسألن الله خيره وبركته قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ

(١) أسد الغابة (٧/ ٣٠٣).
(٢) مسلم (٢٤٥٤) كتاب الفضائل، باب: فضائل أم أيمن، وانظر مسند أحمد (٣/ ٢١٢) وصفة الصفوة (٢/ ٣٩).

ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] فالمسلمة تقرأ القرآن لتنال من فضل الله وثوابه، وقبل كل ذلك ليكون لها رحمة تدلها على طريق ربها ويكون لها شفاء يشفي قلبها عن أمراضه ويشفيها من اتباع الهوى ويهديها إلى صراط الله المستقيم.

لله دَرُّكِ يا بركة، وما أكثر خيرك ويُمنك يا أم أيمن، لقد بكيت لانقطاع كلام ربك فماذا كنتِ ستفعلي لو رأيتِ اليوم من تُعرض عن كتاب ربها فتتركه في بيتها يعلوه التراب ولا تهتم به؟ اللهم إن كان في رمضان. فهل الصلة بيننا وبين كتاب ربنا في رمضان؟ لا والله إن المسلمة الصادقة هي التي تفرح بقراءة كتاب ربها وحفظه وتطبيقه، وتكون قرآناً يمشي على الأرض تفرح بكل آية تحفظها فرحاً أشد من فرح أهل الدنيا بدنياهم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧ ـ ٥٨].

أجل يا أختاه، القرآن كله خير وبركة وسوف يقود من يتّبعه إلى طريق الله الذي سيصل به إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض، يُسرع لها المؤمنون والمؤمنات شوقاً للقاء الله ورؤيته في دار كرامته التي أعدها لأوليائه من أهل القرآن.

وكما بكت السيدة أم أيمن لانقطاع وحي السماء، بكت حين قُبض سيدنا عمر بن الخطاب ـ بكت أم أيمن ـ وقالت:

اليوم وهن (أي ضعف الإسلام). وكأنها رضي الله عنها كانت تنظر بنور ربها فقد وقع الأمر كما قالت فبعد وفاة عمر رضي الله عنه دبّر اليهود خطة محكمة رهيبة لنشر الفتن بين المسلمين وتفريق كلمتهم وإضعاف شأن الإسلام، وهذا ما حدث حيثُ قُتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ على أيديهم واقتتل الصحابة رضي الله عنهم يوم الجمل وقُتل منهم عشرات الآلاف ثم ذهبت خلافة النبوة وجاء الملك العضوض في عصر معاوية ﷺ.

وهكذا كانت أم أيمن مهاجرة سابقة إلى الإسلام، وكانت عابدةً لها شأنها مع ربها الذي سقاها شراباً من لدنه لم تظمأ بعده أبداً. وكانت كذلك أمًّا فاضلة مُربية أخرجت للإسلام بطلين من أبطال الإسلام هما: أيمن رضي الله عنه الذي استشهد في غزوة حنين، وسيدنا أسامة بن زيد حبيب رسول الله ﷺ وابن حبيب رسول الله ﷺ الذي انتدبه ﷺ ليقود جيشاً كبيراً وهو ابن ثمان عشر سنة وكان في هذا الجيش كبار الصحابة حتى تكلم البعض في إمامة أسامة للجيش لصغر سنه فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً فقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إليّ وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده»(١).

(١) البخاري (٤٤٦٩) كتاب: المغازي باب: بعث أسامة، ومسلم (٢٤٢٦) كتاب: فضائل الصحابة.

فرحم الله أم أيمن ورحم الله أبناءها الأبطال ورزق الله أمة الإسلام نساءً كأم أيمن ورجال كأبنائها الأبطال.

عفراء بنت عبيد بن ثعلبة

أم الشهداء وأم قاتل أبي جهل

ومن النساء اللاتي سجّل التاريخ أسماءهن في سجل السابقات إلى الإسلام والأمهات الخالدات، السيدة عفراء بنت عبيد وهي بنت عُبيد بن ثعلبة الأنصارية.

وقد أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ ورزقها الله سبعة بنين كلهم شهدوا بدراً مسلمين. وقد كان أكثرهم شهداء في سبيل الله فقد أنجبت معاذاً ومعوذاً وعوفاً وخالداً وإياساً وعاقلاً وعامراً وقد استشهد معاذ ومعوذ في يوم بدر وخالد يوم الرجيع وعامر يوم بئر معونة وإياس يوم اليمامة[١].

فقد كانت أم الشهداء الذين تربوا على يدها على حب الله وحب رسوله الله ﷺ حتى قتل واحداً منهم فرعون هذه الأمة أبا جهل لأنه كان يسب الرسول ﷺ.

عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال: إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما[٢].

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٥٠)، أسد الغابة (٧/ ١٩٧).

(٢) حديثة أسنانهما: أي صِغار السن.

فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم! أتعرف أبا جهل؟ قلت: نعم وما حاجتك؟ قال: أُخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ. والذي نفسي بيده إن رأيته لا يُفارق سوادي سواده حتى يموتَ الأعجل منا. فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال مثلها. فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكم. قال: فابتدراه بسيفهما حتى قتلاه. ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه فقال: «أيكما قتله»؟ قال كل واحد منهما: أنا قتلته فقال: «هل مسحتما سيفيكما» قالا: لا فنظر في السيفين فقال: «كلاكما قتله»، وقضي بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والآخر هو مُعاذ بن عفراء[(١)].

وهكذا كانت أم بطل من أبطال المسلمين قتل فرعون هذه الأمة وما ذلك إلا لسبه رسول الله ﷺ. فيا له من حب عظيم ذلك الحب الذي نمته نساء المسلمين في أولادهم، ويا لهما من شابين بطلين حرصا على نصرة الدين والدفاع عنه.

وقد قُتل في بدر مُعاذ ومعوذ فعن ابن الكلبي قال: «قُتل معاذ ومعوذ يومئذ ـ يعني يوم بدر ـ فجاءت أمهما إلى النبي ﷺ فقالت لعوف ابنها: يا رسول الله هذا شَرُّ بَنِيّ فقال: لا»[(٢)].

---

(١) البخاري (٣١٤١) باب الخمس، ومسلم (١٧٥٢/ ٤٢) كتاب: الجهاد والسير وجاء في شرح النووي أنه ذكر عن ابن مسعود «أن الذي قتله ابنا عفراء».

(٢) أسد الغابة (٧/ ١٩٧).

تأملي يا أختاه تلك السطور القليلة عن أم الشهداء السيدة عفراء، أم الشهداء التي فرحت بموت ولداها في بدر شهداء، وخافت أن يكون أخوهما الثالث قد حُرم ذلك الفضل فجاءت به وقالت «إنه شرُّ بَنِيّ» لأنه لم ينال الشهادة في سبيل الله، ولم يكن كذلك بل لقد ذُكر بالفضل والعلم في كتب السير والتواريخ ولكنه كل هذا لم يكن إلا لحرصها على أن ينال أولادها شهادة في سبيل الله وحتى يكونوا في ميزان حسناتها وهناك فارق كبير بينها وبين من ترغب في أن يحصل أولادها على أعلى الشهادات، وهم لا يعرفون شيئاً عن أمر دينهم ولا يحبون سنة نبيهم، فالشهادة التي ينالها هؤلاء الأولاد لا تساوي شيئاً في مُقابل شهادة لا إلٰه إلا الله ولا تساوي شيئاً في مقابل الموت في سبيل الله، فالأولى لا قيمة لها أما الأخريين فجزاؤها الجنة، فتأملي يا أختاه كيف ربت هذه المسلمة أولادها لكي يكونوا شهداء ولكي يسجل لنا التاريخ اسمها وأسماء أولادها الذين نسبوا إليها بمداد من نور، فقد نال أكثرهم الشهادة في سبيل الله مما يدل على تربية تلك المرأة الصالحة أولادها لله، ويدل على ذلك أن ولداها قد حرصا على قتل فرعون هذه الأمة لماذا؟ لأنه كان يؤذي رسول الله ﷺ فكيف يُترك حياً وهو يؤذي الحبيب ﷺ.

لله دَرُّك يا سيدتي عفراء لقد غنمت الكثير بفضل تربيتك الصالحة لأولادك، فصار لقبك عبر التاريخ أم قاتل فرعون هذه

الأمة وعند الله أماً لشهداء عاشوا لله بتربيتك وماتوا لله بنصحك وإرشادك فهل لأمهات المسلمين اليوم أسوة في تلك المرأة الصالحة فتُربي أولادها وبناتها على الجهاد حتى يعيشوا أتقياء ويموتوا شهداء. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١].

اللهم ارزقنا شهادة في سبيلك، وأخرج من أصلابنا من يعيش على توحيدك ويموت في سبيلك، آمين.

هند بنت عتبة
«هند....» ومعركة اليرموك

أم معاوية بن أبي سفيان، من النسوة اللاتي بايعن رسول الله ﷺ وقد روى عنها ابنها معاوية وعائشة أم المؤمنين وقد أسلمت عام الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان[1].

وقد شهدت السيدة هند أحداً كافرة ولما قتل سيدنا حمزة مثلت به. ولكنه لما أشرقت شمس الإسلام على الجزيرة العربية غزا الإيمان قلب السيدة هند فأسلمت وحسُن إسلامها وعملت على أن تُكَفِّر عن صدّها عن الإسلام في أول أمره. وقد سجّل لنا التاريخ في صفحاته فضائل ومواقف كان من أروعها موقفها في يوم اليرموك. حرّضت السيدة هند على قتال الروم هي ونساء المسلمين فاستمات المسلمون في القتال وهزموا الروم شر هزيمة ومما جاء في هذه الموقعة:

«وفي وقعة اليرموك حمل المسلمون على الروم حملة منكرة ودارت بينهم الحرب كما تدور الرحى وتكاثرت جموع الروم على

---

(١) أسد الغابة (٧/ ٢٩٢) الاستيعاب (٤/ ١٩٢٢).

ميمنة المسلمين، فعادت الخيل تنكص بأذنابها راجعة على أعقابها منكشفة كانكشاف الغنم بين يدي الأسد. ونظرت النساء خيل المسلمين راجعة على أعقابها فنادت النساء: «يا بنات العرب دونكن والرجال ردوهم من الهزيمة حتى يعودوا إلى الحرب، (....) وخرجت هند بنت عتبة وبيدها مزهر ومن خلفها نساءٌ من المهاجرين وهي تقول الشعر الذي قالته يوم أحد... [المجتث]:

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق
مشي القطا الموافق ... قيدي مع المرافق
ومن أبى نفارق ... إن تَغْلِبُوا نعانق
أو تدبروا نفارق ... فِراق غير وائق
هل من كريم عاشق ... يحمي عن العواتق

ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين فرأتهم منهزمين فصاحت بهم: «إلى أين تنهزمون؟ وإلى أين تفرون؟ من الله ومن جنته؟ هو مُطَّلَع عليكم» ونظرت إلى زوجها أبي سفيان منهزماً فضربت وجه حصانه بعمودها وقالت له: «إلى أين يا ابن صخر؟ ارجع إلى القتال، ابذل مهجتك حتى تُمَحِّص ما سلف من تحريضك على رسول الله ﷺ».

قال الزبير بن العوام: فلما سمعت كلام هند لأبي سفيان

ذكرت يوم أحد ونحن بين يدي رسول الله ﷺ[١].

شتان بين السيدة هند في موقعة اليرموك بعد أن أكرمها الله بالإسلام وبين موقفها في غزوة أُحد، ولقد تأملت كثيراً تلك الشجاعة التي أظهرتها والرغبة الصادقة في تمحيص ما مضى من تحريضها على رسول الله ﷺ وتمثيلها بعمه حمزة رضي الله عنه، وسألت نفسي عن الفارق وسبب التغير فوجدته الإسلام يا أختاه فالإسلام الذي غزا قلب السيدة هند أخرج قلبها من الظلمات إلى النور. فهل تخرج قلوبنا بنور الالتزام والتمسك بديننا من ظلمات الجهل إلى نور العلم؟ وهل تغيّرنا يا أختاه عندما بدأنا نلتزم بطريق الله وصراطه المستقيم؟ وهل غيَّر الإسلام في أنفسنا كما غيَّر في نفس السيدة هند فظهر لنا في تاريخها صدق رغبتها في تمحيص ما مضى من أعمالها؟ وأي شجاعة تلك التي أظهرتها السيدة هند وغيرها من نساء المسلمين وأين نحن من هذه الشجاعة؟ لقد استماتت النساء في تحريض الرجال على القتال ضد الكافرين واليوم هناك قتال من نوع آخر يجب أن تثبت المرأة المسلمة عليه وتحرض زوجها وأولادها على الثبات معها، فقتال اليوم يا أختاه سلاحه الالتزام الكامل بكل ما جاء من عند الله حتى تكون بيوت المسلمات حصوناً تحمي حمى الإسلام ويرتع فيها أبناء الإسلام، تربيهم أمهاتهن على العزة، على الكرم، على

---

(١) فتوح الشام للواقدي (١/ ١٢٧ ـ ١٢٨).

حب الله ورسوله ﷺ لنحارب بسلاح التربية مرة كما فعلته السيدة هند أيضاً فقد كانت من أفضل الأمهات اللاتي شهدهن التاريخ. فهي أم الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وقد ورث عن السيدة هند بنت عتبة ما لم يرث عن أبي سفيان وهي القائلة وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها: «إن عاش معاوية ساد قومه» ـ قالت: «تَكِلْتُهُ إن لم يَسُد إلا قومه» ولما نعى إليها ولدها يزيد بن أبي سفيان قال لها بعض المقربين: «إنا لنرجو أن يكون معاوية خلفاً منه» فقالت: «أو مثل معاوية يكون خلفاً من أحد؟ والله لو جمعت العرب من أقطارها ثم رمي به فيها لخرج من أيها شاء»[١].

وكان سيدنا معاوية رضي الله عنه إذا نوزع الفخر بالمقدرة وجوذب بالمباهاة بالرأي انتسب إلى أمه فصدّع أسماع خصمه (أنا ابن هند)[٢].

وهكذا تشرفت السيدة هند بأن تكون أماً لخليفة المسلمين الذي ربته على العزة والسيادة. وليت أمهات المسلمين اليوم يحرصن على تربية أولادهن على العزة والشجاعة في كل أحوالهن حتى تكون بيوت المسلمات وأبناؤهم قلاعاً للإسلام تحمي حماه «فأنت أيتها الأم المسلمة على ثغرة من ثغرات الإسلام، فإياكِ إياك أن يؤتى الإسلام من قِبلك».

(١) عودة الحجاب محمد إسماعيل المقدم (ص ١٤١).
(٢) معاوية بن أبي سفيان لمنير الغضبان ص ٣١.

أم معبد الخزاعية

خير من وصف النبي ﷺ

وممن يذكرهن التاريخ بالفضل والمواقف المشرقة، السيدة أم معبد. ويذكر صاحب الاستيعاب أن اسمها عاتكة بنت خالد وهي من ربّات الفصاحة والبلاغة وقد مرّ بها النبي ﷺ في هجرته من مكة إلى المدينة، وكان ذلك الموقف الذي سطره التاريخ لهذه المرأة التي أسلمت وبايعت عندما رأت معجزة النبي ﷺ.

فعن حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ: «أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة إلى المدينة مهاجراً، وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهما الليثي عبد الله بن أريقط. مرُّوا على خيمتي أم معبد الخزاعية وكانت امرأة جَلْدَةً تختبىء بفناء الخيمة ثم تسقي وتطعم. فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك وكان القوم مُرْمِلين مُسنِتين[١]. فنظر رسول الله ﷺ إلى شاه في كِسْرِ[٢] الخيمة

(١) مَرْملين: من أرمل الرجل إذا نفذ زاده في سفر أو حضر، مسنتين: أي مجدبين أي أصابتهم السنة وهي الجدب والقحط.

(٢) كسر الخيمة: جانبها.

فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلّفها الجهد عن الغنم قال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك. قال: أتأذنين لي أن أحلُبها؟ قالت: نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها. فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها وسمى الله ودعا لها في شاتها فتفاجّت(١) عليه ودرّت واجترت ودعا بإناء يرْبضِ(٢) الرهط فحلب فيه ثجاً(٣) حتى عَلاهُ البهاء(٤)، ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا وشرب آخرهم ثم أراضوا ثم حلب ثانياً فيها بعد ذلك حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها وبايعها(٥) وارتحلوا عنها. فقلما لبثت حتى جاء زوجُها أبو معبد يسوق أعنز عِجَافاً يتساوَكْنَ هُزالاً منحهن قليل. فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازب حِيَال ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنه مَرّ بنا رجل مبارك مِن حاله كذا وكذا. قال: صِفيه لي يا أم معبد قالت: رأيتُ رجلاً ظاهر الوضاءة(٦)، أبلج الوجه حسن الخلق، لم تُعِبهُ ثجلة ولم تزر به صُعْلةُ(٧)، وسيم قسيم، في

---

(١) تفاجّتْ: فتحت رجليها للحلب.
(٢) يربض الرهط: يبالغ في ريهم (أي سقياهم).
(٣) ثجاً: سائلاً أي لبناً كثيراً.
(٤) البهاء: بريق الرغوة ولمعانها.
(٥) أي بايعها على الإسلام فقد أسلمت من هذه المعجزة.
(٦) الوضاءة: حسن الوجه ونظافته.
(٧) الثجلة: عظم البطن واسترخاؤه والصعلة: صغر الرأس.

عينيه دَعَج، وفي أشفاره وطف[١]، وفي عنقه سَطَع، وفي صوته صَحَل، وفي لحيته كثاثة، أزجّ، أقرن، إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحسنه وأجمله من قريب، حُلُو المنطق فَصْل، لا نَزْرٌ ولا هَذْرٌ كأن منطقه خرزات نَظْم ينحدرْن، رَبْعَةٌ، لا بائن من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غُصنُ بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، أحسنهم قَداً، له رفقاء يحّفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادَروا إلى أمره محفود محشود[٢] لا عابس ولا مُفنِد[٣] قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذُكر لنا بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً[٤].

وهكذا كانت الزيارة المباركة من رسول الله ﷺ وتلك المعجزة النبوية، سبباً في تسرب الإيمان إلى قلبَيْ أم معبد وزوجها وبرعت السيدة أم معبد في وصف النبي ﷺ وصفاً لم يوفق له غيرها. وقد قيل لسيدنا علي بن أبي طالب ﷺ: كيف لم يصف أحد النبي ﷺ كما وصفته أم معبد؟ فقال: لأن النساء يصفن بأهوائهن فيجدن في صفاتهن[٥].

---

(١) الدعج شدة سواد العين وفي أشفاره وطف (أي طويل شعر أشفار العين).
(٢) محفود: مخدوم.
(٣) مُفَنِد: يتكلم بالمحرف من الكلام عن سنن الصحة.
(٤) الاستيعاب (١٩٥٨/٤ ـ ١٩٦٠).
(٥) أعلام النساء (٦٣/٥).

وهكذا تمكن حب النبي ﷺ من قلب تلك المرأة، وفي هذا الموقف تظهر براعتها وبلاغتها وفضلها فقد بايعت وسارعت إلى الإسلام فهي من السابقات إلى الإسلام اللاتي سطّر التاريخ مواقفهن بمداد من نور في صفحاته. فليست البلاغة حكراً على الرجال، بل ليس الفضل حِكراً على الرجال فللنساء في كل مجال من مجالات الفضل نصيب وافر ورحم الشاعر الذي وصف تلك الزيارة فقال: [الطويل].

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حَلاّ خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهُدى فاهتدت به
فقد فاز من أمسى رفيق محمد(١)

(١) الأبيات في ديوان حسان بن ثابت ص ٨٦ وسيرة ابن هشام (١٠١/٢).

فضة النوبية

فَضَّة في بيت فاطمة الزهراء

ومن النساء اللاتي سطر لهن التاريخ مواقف رائعة تدل على علو شأنها عند الله عز وجل وتعلقها به: السيدة فضة النوبية.

وقد كانت جارية فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وقد وهبها النبي ﷺ لابنته بعدما شكت له من كثرة الإعياء. فكانت فضة تساعدها في البيت وفي رعاية أطفالها وقد كانت تعيش في بيت السيدة فاطمة كأنها واحدة من الأسرة الكريمة.

قال ابن حجر: كانت فضة تشارك أسرة فاطمة الزهراء كل شيء حتى النَّذر عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧].

قال: مَرِض الحسن والحسين فعادهما جدهما رسول الله ﷺ، وعادهما عامة العرب فقالوا لأبيهما: لو نذرت؟ فقال: علي ـ إن عوفيا ـ صيام ثلاثة أيام شكراً. وقالت فاطمة كذلك وقالت جارية يُقال لها فضة النوبية: إن برأ سَيِّدَايَ صُمْت لله عز وجل[١].

---

(١) الإصابة (٨/ ٧٥) أسد الغابة (٧/ ٢٣٧).

وهكذا ينزل فيها مع سيدنا علي والسيدة فاطمة قرآن يتلى إلى قيام الساعة ورغم أنها جارية نوبية. ولكن الإيمان لم يجعل فارقاً بين المسلمين والمسلمات إلا بالتقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقد كانت السيدة فضة النوبية تقية لله ترعى شؤون البيت في صدق وأمانة وتشاطر أهل البيت أفراحهم وأحزانهم وتشاركهم الفضل في النذر والوفاء به. والفضل في الصدقة مما أورده ابن الأثير عنها: «فألبس الغلامان العافية وليس عند آل محمد قليل ولا كثير فانطلق عليٌّ إلى شمعون الخيبري فاستقرض منه ثلاثة آصُع(١) من شعير، فجاء بها فوضعها فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته واختبزته وصلى عليٌّ مع رسول الله ﷺ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من أولاد المسلمين أطعموني أطعمكم الله عز وجل على موائد الجنة. فسمعه علي فأمرهم فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء. فلما كان اليوم الثاني قامت فاطمة إلى صاع وخبزته وصلى عليٌّ مع النبي ﷺ ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم يتيم فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، يتيم بالباب من أولاد المهاجرين استشهد والدي أطعموني.

(١) والصاع: نوع من المكايل والجمع آصُعَ.

فأطعموه الطعام فمكثوا يومين لم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة إلى الصاع الباقي فطحنته واختبزته، فصلى عليٌّ مع النبي ﷺ ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم أسير فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت النبوة تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا أطعموني فإني أسير. فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا إلا الماء. فأتاهم رسول الله ﷺ فرأى ما بهم من الجوع فأنزل الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ إلى قوله: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[1] [الإنسان: ١، ٩].

تأملي أختاه هل سطر التاريخ موقفاً في البذل والعطاء كهذا؟ وأي فضل سألته السيدة فضة بصحبتها لهذا البيت الكريم الطاهر الذي عاشت فيه تحفظ وتتعلم من العلم ما تستطيعه وتنهل من صحبتها لهم الخير الكثير؟ وقد علمها رسول الله ﷺ دعاء تستعين به في قضاء أمورها وطلب العون من الله.

عن علي ﷺ قال: «أَخْدَم رسولُ الله ﷺ فاطمة ابنته جارية اسمها فضة النوبية، وكانت تشاطرها الخدمة فعلّمها رسول الله ﷺ دعاء تدعو به فقالت لها فاطمة: أتعجنين أو تخبزين؟ فقالت: أنا أعجن وأحتطب يا سيدتي، فذهبت واحتطبت وبيدها حزمة وأرادت حملها فعجزت فدعت بالدعاء الذي علمها إياه

(١) أسد الغابة (٧/ ٢٣٧).

رسول الله ﷺ وهو: «يا واحد ليس كمثله أحد يميت ويحيي كل أحد وتُغني كل أحد وأنت على عرشك واحد ولا تأخذه سنة ولا نوم» واستجاب الله تعالى دعاءها وبعث الله لها من حمل عنها عبئها وأوصلها لبيتها. لقد جاء أعرابي كأنه من أزد شنوءة[(١)] فحمل الحزمة إلى باب فاطمة[(٢)].

وهكذا ضربت الجارية فضة أروع المثل في الإيثار والنهوض بالواجب بكل أمانة وصدق، وضربت أروع المثل في الإحسان ابتغاء مرضات الله حين نزل الوحي يُسجل هذا الموقف المثالي درساً للأولين والآخرين فهل لنا من أن نتعلم من هذا الموقف فنبذل في سبيل الله وابتغاء مرضاته أموالنا وطعامنا؟ وهل لنا أن نتعلم من الجارية فضة كيف تكون الاستعانة بالله وطلب العون منه وحده في شؤون بيوتنا وفي كل أمورنا؟ فتعلمي يا أختاه دعاء السيدة فضة وعلميه بناتك حتى يكون خير عون لك ولهن في بيوتكنّ وأردده عليك مرة أخرى «يا واحد ليس كمثله أحد يميت ويحيى كل أحد وتغني كل أحد وأنت على عرشك واحد ولا تأخذه سنة ولا نوم».

(١) أزد شنؤة: اسم قبيلة عربية قحطانية... انتشر أفرادها في بلاد اليمن وعلى ساحل عمان.

(٢) الإصابة (٨/ ٧٦).

خولة بنت ثعلبة

امرأة سمع الله عز وجل شكواها من فوق سبع سمٰوات

خولة بنت ثعلبة وقيل خُويلة، والأول أكثر[1]. وهي امرأة أوس بن الصامت وقد أنزل الله في شأنها وشأن زوجها قرآناً.

عن يوسف بن عبد الله بن سلام: حدثتني خُوَيلة[2] امرأة أوس بن الصامت، أخي عبادة بن الصامت قالت: فيَّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله عز وجل سورة «المجادلة»، قالت: كنت عنده، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خُلقه وضَجِر قالت: فدخلَ عَليَّ يوماً فراجعته في شيء فغضب وقال: «أنت عليّ كظهر أمي» ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليّ فإذا هو يُريدُني على نفسي، قالت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا. قالت: فواثبني وامتنعت منه، فغلبتهُ بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني. قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابها، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣١٩) أسد الغابة (٧/ ٩١).

(٢) لفظ المسند (... بن سلام، عن خولة...).

فجلست بين يديه فذكرتُ له ما لقيت منه وجعلت أشكو إليه ما أَلقى من سوء خُلُقه. قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه» قالت: فوالله ما بَرِحت حتى نزل فِيّ القرآن فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سُرِّي عنه فقال: «يا خُويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك». ثم قرأ علـيّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ . . .﴾ الآيات إلى قوله ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ١ ـ ٤].

قالت: فقال رسول الله ﷺ: «مُرِيه فليعتق رقبة. قالت فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال: «فليصم شهرين متتابعين» قالت: فقلت والله إنه شيخ كبير ما به من صيام قال: «فليطعم ستين مسكيناً وسْقاً[١] من تمر». قالت: فقلت يا رسول الله ما ذاك عنده قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإنا سنعينه بَعرَق من تمر»[٢] قالت: فقلت: يا رسول الله وأنا سأعينه بَعرق آخر. قال: «فقد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيراً». قالت: ففعلت[٣]. وهكذا تشتكي المؤمنة الصابرة على أذى زوجها لكبر سنه، ويكرمها الله بسماع شكواها وإنزال آيات في كتاب الله لا يسجلها التاريخ فقط بل ستظل تُتلى إلى قيام الساعة.

(١) الوسق: ستون صاع.
(٢) العرق: هو زنبيل منسوج من نسائج الخوص، وكل شيء مضفور فهو عرق.
(٣) مسند أحمد (٦/ ٤١٠ ـ ٤١١).

وأنتِ يا أختاه إذا ضاقت بكِ الدنيا إلى من تلجئين وإلى من تشتكين؟ فعليكِ بالشكوى إلى الله عز وجل (السميع البصير) سميع لكلامك وشكواك، البصير بحالك وحاجتك فهو القادر على رفع كل مكروه عنك وتيسير كل عسير وقد اشتكت السيدة خولة إلى رسول الله ﷺ أمر زوجها فلما لم تجد لشكواها صدى إلا قول ﷺ: «ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه» رفعت الشكوى إلى ملك الملوك وما أسرع حضور الرد من فوق سبع سمٰوات بنزول وحي السماء ليُرسي هذه القاعدة في المجتمع المسلم ويُخلد اسم تلك المرأة في سجل التاريخ بأنها امرأة نزل فيها قرآن يُفرج الله به كربها ويرحم الله به ضعفها وضعف كل مسلمة مماثلة لها في أمر الظهار(١).

وقد جاء في رواية السيدة عائشة أنها قالت: «تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه. وهي تشتكي إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: «يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كَبُرت سني وانقطع ولدي ظاهر مِني اللهم إني أشكو إليك»(٢).

وفي هذا الحديث تعلمنا السيدة خولة أدب الدعاء والشكوى في أن نتوسل إلى الله بعجزنا وفقرنا وحاجتنا إليه وإلى فرجه

(١) والظهار هو تحريم الرجل زوجته على نفسه بقوله «أنت عليّ كظهر أمي».
(٢) ابن كثير (٤/٣١٩).

وتدبيره، فعند ذلك يأتي الله بالفرج كما نزل الوحي بما يُفرج كرب السيدة خولة لقد كرّم الله سبحانه وتعالى السيدة خولة بهذا القرآن فعلم صَحَابة رسول الله ﷺ لها هذا الفضل والتكريم.

فعن قتادة، قال: «خرج عمر من المسجد ومعه الجارود العبدي فإذا بامرأةٍ برزَتْ على ظَهْر الطريق، فَسَلَّم عليها عمر فردت عليه السلام وقالت: هيهات يا عمر عهدتك وأنت تُسمى عُميراً في سوق عكاظ ترعى الضأن بعصاك، فلم تذهب الأيامُ حتى سُمِّيت عمر ثم لم تذهب الأيام حتى سُمِّيت أمير المؤمنين فاتقِ الله في الرعية واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشي عليه الفوت. فقال الجارود: قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين: فقال عمر: دَعْها أما تعرفُها فهذه خولة امرأة أوس بن الصامت التي سمع الله قولها من فوق سبع سمٰوات، فَعُمَرُ والله أحقُّ أن يسمع لها»[1]. رحم الله السيدة خولة ورحم الله صحابة رسول الله ﷺ لقد عرفوا لكل ذي فضلٍ فضله وليتنا فى هذه الأيام نعرف لصحابيات رسول الله ﷺ الفضل فنقتدي بهن في كل أمورهن حتى يكون في ذلك صلاح ديننا ودنيانا وآخرتنا.

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٨٣١).

نسيبة بنت كعب

من يطيق ما تطيقينه يا أم عُمارة

أم عمارة: نسيبة بنت كعب أحد المسلمات السابقات إلى الإسلام المجاهدات في سبيل الله. فقد كانت ممن شهد بيعة العقبة.

عن ابن إسحاق فيمن شهد بيعة العقبة قال: «وكان فيمن شهد العقبة من بني الخزرج اثنان وستون رجلاً وامرأتان منهم تسعة نقباء والمرأتان من بني مازن بن النجار نسيبة وأختها، ابنتا كعب بن عمرو بن عوف»[1].

وقال عنها الإمام الذهبي: «أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الفاضلة المجاهدة الأنصارية الخزرجية المدنية، كان أخوها عبد الله بن كعب المازني من البدريين وكان أخوها عبد الرحمٰن من البكائين، شهدت أم عمارة ليلة العقبة وشهدت أحداً والحديبية ويوم حنين ويوم اليمامة وجاهدت وفعلت الأفاعيل. روي لها أحاديث وقطعت يدها في الجهاد»[2].

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٦٦) أسد الغابة (٧/ ٢٨٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٨).

وهكذا يسجل لنا التاريخ مواقف بطولة رائعة للسيدة نسيبة نقف معها لنعيش مع هذه المجاهدة مواقف بطولتها عبر صفحات التاريخ. وعن ضَمْرة بن سعيد يحدث عن جدته وكانت قد شهدت أحداً قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لمَقامُ نسيبة بنت كعب اليوم خَيرٌ من مَقَامِ فُلان وفُلان» فأي وسام يقلده رسول الله ﷺ لتلك المرأة المجاهدة وماذا فعلت نسيبة في يوم أُحد.

لقد خرجت السيدة نسيبة تسقي الظِّماء وتداوي الجرحى في غزوة أُحد وكانت غرة الحرب وطلعتها للمسلمين فانتصروا أول الأمر، ثم انقلب الأمر لما عصى الرماة أمر رسول الله ﷺ عند ذلك تناولتهم السيوف تنهل من نحورهم وانكشفوا وولوا مدبرين، إلا عشرة أو نحوهم وقفوا يدرأون عن رسول الله ﷺ ويحولون دون الوصول إليه. ومن وسط ذلك كله ظهرت السيدة نسيبة فانتضيت سيفها واحتملت قوسها وذهبت تعول وتجول بين يدي رسول الله ﷺ وحولها من الغُرِّ المزاويد (علي وأبو بكر وعمر وسعد وطلحة والزبير وولداها وزوجها) فكانت هي، وهي امرأة من أظهر القوم أثراً وأعظمهم موقفاً وكانت لا ترى الخطر يدنو من رسول الله ﷺ حتى تكون سداده حتى قال عنها نبي الله ﷺ: «ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني»[١].

(١) الاستيعاب (٤/ ١٩١٩) أسد الغابة (٧/ ٢٨٠) طبقات ابن سعد (٨/ ٤١٣، ٤١٤).

تأملي يا أختاه إنها تدافع عن رسول الله ﷺ خوفاً عليه فكيف تحيا ويحيا الإسلام بدونه؟ كيف الحياة بدون من يصلنا بنور وحي السماء؟ لقد دافعت عن رسول الله، فهل لنا من نساء اليوم من تدافع عن سنة رسول الله ﷺ في عصر تكالبت عليها ألسنة المنحرفين؟ وأين من تدافع بأخلاقها وسلوكها وأقوالها عن السنة المطهرة؟ فهي الصلة الوحيدة التي تربطنا بالمصطفى ﷺ (بأبي هو وأمي).

لقد سخَّرت السيدة نسيبة نفسها وولدها للدفاع عن رسول الله ﷺ وكانت تُسرع بعلاج جرح ولدها لكي يدافع عن رسول الله ﷺ ولا يتكاسل. عن عبد الله بن زيد قال: جُرحت يومئذٍ جُرحاً وجعل الدم لا يرقأ فقال النبي ﷺ «اعصب جُرحك» فتُقبل أُمي إليّ ومعها عصائب في حَقْويها فربطت جُرحي والنبي ﷺ واقف فقالت: انهض بُني فضارب القوم وجعل النبي ﷺ يقول: «من يطيق ما تطيقين يا أم عُمارة»(١).

ثم أقبل الرجل الذي ضرب ابن السيدة نسيبة فقال رسول الله ﷺ «هذا ضارب ابنك» قالت: فاعترضت له فضربت ساقه فَبرك، ثم قتلته وقالت: فرأيت رسول الله ﷺ يتبسم حتى رأيت نواجذه وقال: «الحمد لله الذي ظفّرك وأقر عينك من

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٤١٣، ٤١٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٠).

عدوك وأراك ثأرك بعينك»[١].

ولقد أصيبت السيدة نسيبة في هذا اليوم ثلاثة عشرة جرحاً، واحداً منها غار في عاتقها فنزف الدم منه وهي رغم ذلك تقاتل كالصاعقة الساحقة تضرب في نحور العدو وترتمي بين صفوفهم غير آبهة ولا دارية بالدم الناعر في جسمها، فقال رسول الله ﷺ لابنها: «أمك أمك اعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان» فلما سمعت نسيبة ذلك قالت: «ادع الله أن نرافقك في الجنة» فقال: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة» فقالت: ما أُبالي ما أصابني في الدنيا[٢].

حقاً يا سيدتي وكيف تُبالي وقد كُتب لك الفوز بهذا الجوار الكريم في خير دار، وكم تساوي الدنيا الفانية ـ التي يتنافس عليها الجميع ـ كم تساوي مقابل جنة عرضها السمٰوات والأرض أعدّها الله للمؤمنين والمؤمنات لتكون خير جزاء لهم على جهادهم وجهادهن في هذه الحياة الدنيا التي باعوها وكان ثمنها الجنة، فهل لنا يا أختاه من تصيب في هذه البيعة التي قال سبحانه وتعالى عنها: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٤١٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٠).
(٢) ابن سعد (٨/ ٤١٤، ٤١٥).

مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة: ١١١].

وهكذا كانت السيدة نسيبة ـ كما سطر لنا التاريخ ـ امرأة ثابتة هي وأولادها على عقيدة الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، وكما شهد التاريخ لها يوم أحد فقد شهد لها يوم اليمامة ولهذا اليوم قصة.

فقد أرسل رسول الله ﷺ حبيب بن زيد ابن السيدة نسيبة إلى مسيلمة الكذاب برسالة يزجره عن غيِّه وكفره ومضى المجاهد ابن المجاهدة إلى مسيلمة غير خائف ولا مُتمهل. ولما دخل عليه وأعطاه الرسالة أمر مسيلمة بتقييده وأمر به في وسط جموع محتشدة من قومه قال له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فقال: نعم أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ. فتميز الكذّاب غيظاً وقال: وتشهد أني رسول الله فقال حبيب: إن في أذني صمم عن سَماع ما تقول. فتغير لون وجه مسيلمة وقال لجلاده: اقطع قطعة من جسده فأهوى الجلاد على حبيب بسيفه وقطع قطعة من جسده وطرحت على الأرض، ثم أعاد عليه مسيلمة السؤال وأخذ يُقطع في جسده قطعة قطعة ثم غاصت روح المجاهد الصابر شهيداً في سبيل الله وعلى لسانه وقلبه اسم سيد العالمين محمد رسول الله ﷺ[١].

---

(١) بتصرف من رجال حول الرسول خالد محمد خالد ص ٥١٧.

لما علمت الأم المجاهدة ذلك صبرت واحتسبت ودعت الله أن يُريها ثأر ابنها بنفسها. وكان يوم اليمامة وخرجت السيدة نسيبة مع المسلمين هي وابنها عبد الله وقاتلت كأشد ما يكون القتال وجُرحت في هذا اليوم سوى يدِها أحد عشر جُرحاً، وكانت لا تكف عن الصياح: «أين عدو الله مسيلمة؟» وبَرّ الله قسمها وشهدت ثأرها بعينها فقتل ابنها عبد الله بن زيد بسيفه قاتل حبيب، قتله ثأراً لأخيه وانتصاراً لدين الله تعالى.

وعادت المجاهدة إلى المدينة وكان خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق يعرف فضلها وجهادها فكان يسأل عنها[١].

وهكذا عاشت المجاهدة الصابرة والأم المربية على الجهاد هي وأبناؤها يجاهدون في سبيل الله على أمل اللقاء بالحبيب المصطفى ﷺ في الجنة. وما أجمله من أمل تضحي في سبيله المرأة المسلمة بكل غالٍ ونفيس.

فهل نتعلم نحن مسلمات اليوم من السيدة نسيبة كيف نعيش لله ونربي أولادنا على الجهاد في سبيل الله؟؟

---

(١) ابن سعد (٨/ ٤١٦).

أم الفضل [لُبَابة بنت الحارث]

أول امرأة أسلمت بعد خديجة

لبابة بنت الحارث الهلالية (أم الفضل) وهي زوج العباس بن عبد المطلب وأُم الفضل وعبد الله ومعبد وعُبيد الله وقُثَم وعبد الرحمٰن. وهي لبابة الكبرى وهي أخت أم المؤمنين ميمونة[1]، وقد كانت أول امرأة أسلمت بعد خديجة[2] وكان النبي ﷺ يزورها ويَقِيل عندها وكانت من المنجيات. ولدت للعباس ستة رجال لم تلد امرأة مثلهم ولها يقول عبد الله بن يزيد[3]:

[الرجز]:

ما ولدت نجيبة من فحْلِ
بجبلٍ نعلمُه أو سَهْلِ
كستَةٍ من بطن أم الفضل
أكرِم بها من كهْلَةٍ وكهل

(١) أسد الغابة (٧/ ٢٥٣) الاستيعاب (٤/ ١٩٥٠).
(٢) أسد الغابة (٧/ ٢٥٣) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١/ ٣٥٤).
(٣) أسد الغابة (٧/ ٢٥٣).

عمّ النبي المصطفى ذي الفضلِ
وخاتم الرسل وخير الرُسْلِ

وكيف لا تفخر بأولادها ومنهم سيدنا عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن الذي دعا له الحبيب ﷺ (اللهم علّمه الحكمة). وقد كانت أختاً للسيدة ميمونة وأسماء وسلمى وقد شهد لهن رسول الله ﷺ بالإيمان فقال فيما رواه عنه ابن عباس رضي الله عنه قال: «الأخوات الأربعُ مؤمناتُ ميمونة بنت الحارث وأم الفضل وسلمى وأسماء»[(١)].

وقد كان لها في ذات نفسها ـ مع كل هذا الفضل في الحسب والنسب والأولاد ـ مواقف تدل على هذا الإيمان الصادق وتظهر فيها الشجاعة الباهرة والصدق والوفاء لله ورسوله ودينه. ومن هذه المواقف موقفها من عدو الله أبي لهب يوم بدر.

فعن عكرمة مولى ابن عباس قال: قال أبو رافع: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل. وكان العباس يَهابُ قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مَالٍ كثير متفرق في قومه. وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ـ وكذلك كانوا صنعوا لم يتخلف

(١) تهذيب الكمال للمزي (٣٥/ ٢٩٨).

رجل إلا بعث مكانه رجلاً ـ فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً. قال: وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهري فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان ـ واسمه المغيرة ـ بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم، قال: فقال أبو لهب: هلم إليّ فعندك لعمري الخبر، قال: فجلس إليه والناس قيام عليه فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا، وايم الله مع ما لُمت الناس لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، والله ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيئاً قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، قال: وثاورته فاحتملني وضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني وكنت رجلاً ضعيفاً. فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فعلت في رأسه شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده؟ فقام مولياً ذليلاً»[1].

(١) البداية والنهاية (٥/١٩٧ ـ ١٩٩).

تأملي أختاه تلك الشجاعة الباهرة من تلك المؤمنة القوية وكيف تجرأت هذه المرأة الفاضلة على عدو الله أبي لهب، وقد كان فارساً مغواراً من مغاويرهم يعدونه للنوائب الجسام وكان شريفاً مطاعاً فيهم. فلم يمنعها ذلك من أن تغضب لدينها وتواجه ذلك الطاغية بقوة الإيمان.

ولقد هاجرت السيدة أم الفضل إلى المدينة مع زوجها بأهلهم أجمعين، وكانت في المدينة ذات فضل على رسول الله ﷺ فأي فضل لأم الفضل من هذا الفضل أن يشرفها النبي ويشهد لها بالإيمان وأن تكون ثاني امرأة تدخل في الإسلام وأن تكون أماً لحبر هذه الأمة؟ وأنت يا أختاه أي المواقف تريدين أن تكوني مثلها في الفضل؟ إن أردتِ ذلك فاحرصي على دينك واغضبي له وربّي أولادك ليكونوا من السادة العلماء، وواجهي الخطوب بشجاعة كما واجهتها أم الفضل رحمة الله عليها مع الصالحات والصالحين.

رفيدة الأنصارية

تُمرض الجرحى لوجه الله
رفيدة الأنصارية وقيل الأسلمية

عن أبي إسحاق قال: «وكان رسول الله ﷺ حين أصاب سعداً السهم بالخندق قال لقومه: اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب، وكانت امرأة من أسلم في مسجده فكانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خِدمة من كان به ضيعة من المسلمين»[1].

وهكذا كانت تلك المرأة المسلمة تسعى للجهاد في سبيل الله وجعلت من تمريض الجرحى وسيلتها لذلك. وسطر لها التاريخ مداواتها للكثير من الجرحى وكان لها الفضل في ذلك. فهل لك يا أختاه أن تداوي جرحى القلوب الآن بتوجيهها إلى عبادة خالقها، ففي ذلك جهاد للفكر الضّال وجهاد في سبيل الله لا يعرف قدره إلا من ذاق حلاوته رزقنا الله من فضله وهدى بنا القلوب آمين يا رب العالمين.

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٨٣٨) أسد الغابة (٧/ ١١٠) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٩).

أم الرُّبَـيِّع

امرأةٌ يَسرَّ اللَّهُ قَسَمَها

عـن أنـس أن أم[1] الـرُّبَـيـع أم حـارثـة جـرحـت إنـسـانـاً، فـاختـصـمـوا إلى الـنبي ﷺ فـقـال رسـول الله ﷺ: «الـقـصـاص القصاص». فقالت أم الرُّبَيّع: يا رسول الله، أتقتص من فلانة؟ لا والله لا يُقتَصُّ منها أبداً. فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله يا أمُ الرُّبيع! القصاص كتاب الله»، قالت: لا والله لا يقتص منها أبداً. فما زالت حتى قبلوا الدِّيَة. فقال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبَّره»[2].

وفي شرح مسلم قال النووي: وفي الحديث فوائد منها جواز الحلف فيما يظنه الإنسان، ومنها جواز الثناء على كل من لا يخاف الفتنة واستحباب الشفاعة في العفو[3].

---

(١) أم: كذا والذي في النسائي «أخت الرُّبيع» وضبطت الرُّبيع بضم الراء وفتح الباء الموحدة وتشديد الياء».

(٢) النسائي كتاب: القسامة باب: القسامة في السنن (٨/ ٢٦ ـ ٢٧) ومسلم كتاب: القسامة (١٦٧٥/ ٢٤).

(٣) شرح مسلم للنووي (١١/ ٢٣٤).

وهكذا تنال المرأة المسلمة عبر صفحات التاريخ تلك المكانة العالية حين يبر الله عز وجل قسمها ويقبل شفاعتها وييسرها لها. وهكذا الإسلام يُعلي من شأن أصحابه حتى يكونوا في أعلى مكانة، وأي مكانة أعلى شأناً من توفيق الله للإنسان بأن يبر قسمه، مما يدل على مكانة ذلك العبد لدى خالقه عز وجل وأن هذه المرأة المسلمة من عباد الله الذين كانوا في كل أمورهم يحبون ما يحب الله ويأتمرون بأمره، فأحب الله ما تحبه وأبر قسمها. وسجل ذلك الموقف التاريخ في صورة مشرقة تحث المرأة المسلمة اليوم على طاعة الله وعبادته لعل الله أن يرزقها من فضله فتنال القُرب والرضوان والكرامة من لدنه الملك جلّ وعلا، فتذكر في الدنيا بخير ذكر وتذكر في السماء بخير ثناء، رزقنا الله تلك المكانة ووفقنا إلى كل ما يحبه ويرضاه.

أم حميد الأنصارية

مسلمة حريصة على العلم

ولقد سجل لنا التاريخ أحاديث وأخباراً عن نساء من صحابة رسول الله ﷺ كن حريصات على طلب العلم والسؤال عما يُشكل عليهن، فكن مسلمات عالمات يعبدن الله في كل أمورهن على نور وبصيرة. ومن هؤلاء: السيدة أم حُميد الأنصارية وهي امرأة أبي حميد الساعدي[1].

عن عبد الحميد بن المنذر بن أبي حميد الساعدي عن أبيه عن جدته أم حُميد أنها قالت: قلت يا رسول الله منعنا أزواجنا أن نصلي معك؟ ونحب الصلاة معك؟ فقال رسول الله ﷺ: «صلاتكن في بيوتكن أفضل من صلاتكن في حُجَركُن، وصلاتكن في حُجَرَكن أفضل من صلاتكن في دُوركن، وصلاتكن في دُورِكن أفضل من صلاتكن في الجماعة»[2].

فأمرت فبني لها مسجداً في أقصى شيء من بيتها وأظلمه

(١) أسد الغابة (٧/ ٣٢٣) الاستيعاب (٤/ ١٩٣٣).

(٢) المصادر السابقة.

وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله[١].

وهكذا جاءت لنا تلك التوجيهات النبوية ببركة سؤال تلك المرأة المسلمة التي حرصت على أمر دينها، فسألت حتى تعرف ما يُرضي ربها فرغم أنها تحب الصلاة خلف رسول الله ﷺ.

ـ وكيف لا تُحَبُ الصلاة خلف الحبيب المصطفى ـ ولكنها رغم ذلك سألت لتعرف الحكم في هذا الأمر، وعندما رأت أن مرضاة الله في قرارها في بيتها وصلاتها فيه اختارت ما يُرضي ربها. وفي هذا الحديث فائدة عظيمة في بيان حرص نساء المسلمين على طلب العلم والسؤال في كل أمور دينهن ودنياهن حتى يعبدن الله على بصيرة. فهل للأخت المسلمة أسوة حسنة في هؤلاء النساء؟ وهل لها أن تسأل عن كل ما خفي عليها من أمور دينها حتى تعبد الله على بصيرة قال تعالى:

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وتأملي استجابتها لأمر رسول الله ﷺ وهكذا كن جميعاً صحابيات رسول الله ﷺ وقّافات عند أمر الله وأمر رسوله. فلم تفعل ما أحبت وهو الصلاة خلف النبي المصطفى بل اختارت ما يحبه الله ورسوله فهل لمسلمات اليوم من قدوة حسنة في تلك المرأة العابدة المطيعة الحريصة على طلب العلم؟.

---

(١) أعلام النساء لرضا كحالة (١/ ٢٩٦).

سُعَيرَة الأسدية

امرأة من أهل الجنة تمشي على الأرض

ومن المواقف الإيمانية التي سطرّها التاريخ للمرأة المسلمة موقف السيدة سُعَيرَة الأسدية.

قال عطاء الخراساني عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قال: فأراني حَبشية صفراء عظيمة قال: هذه سُعَيرة الأسدية أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنّ بي هذه المُوتة ـ تعني الجنون ـ فادع الله أن يشفيني: قال: «إن شئت دعوت الله عز وجل أن يعافيك مما بك ويكتب لك حسناتك وسيئاتك وإن شئت فاصبري ولك الجنة»؟ فاختارت الصبر والجنة.

ثم قالت: «إني أتكشفُ فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها»[1].

هل سطرّ لنا التاريخ موقفاً في الصبر مثل هذا الموقف، تصبر

---

(١) رواه البخاري في المرض (١٠/ ١١٤) ومسلم (١٦/ ١٣١) دون تحديد الاسم وقد ذكر اسمها ابن الأثير في أسد الغابة (٧/ ١٤٢).

على الجنون؟ ولكن ثمن هذا الصبر غالٍ جداً إنه الجنة يا أختاه تلك الجنة التي اشتاقت إليها قلوب المؤمنات، فبعدما أرادت الرسول ﷺ لكي يدعو لها بالشفاء لتعيش حياة هادئة هانئة رأت أمامها الفرصة مواتية لتنال الجنة وتكون امرأة من أهل الجنة وهي تمشي على الأرض. فاختارت الجنة تلك الجنة التي جعل الله فيها نعيمه المقيم لعباده الصابرين ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] وقال عنهم: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

لقد صبرت هذه المرأة على المرض واحتسبته عند الله على أمل أن يكون ثمن الصبر الجنة، ولكنها لم تصبر على تكشف جسمها لأنها كانت تتكشف فتظهر عورتها رغماً عنها لكن لحيائها وإيمانها بوجوب ستر جسدها أرادت من رسول الله ﷺ أن يدع الله لها بالستر وعدم التكشف في حالات الجنون التي تصيبها، فدعا لها رسول الله ﷺ. فأين متبرجات اليوم اللاتي يذهبن إلى مصممي الأزياء للقيام بكشف الساق أوالصدر أو غيرها من العورات التي حرم الله كشفها؟ وأين هن من الجنة وهن يخالفن أمر الله وأمر رسوله ﷺ؟ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ

أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩].

لقد صبرت السيدة سُعيرة على المرض، ولكنها لم تصبر عن الستر ولذلك سترها الله في جنته وبشرّها بذلك. فهل تستر المسلمات اليوم عوراتهن حتى يسترهن الله بستره في الدنيا والآخرة؟ وهل تصبر المسلمات المبتليات بالأمراض على المرض ابتغاء رضوان الله حتى يكون ذلك المرض في ميزان حسناتها ويكون باباً واسعاً لها إلى الجنة إذا صبرت واحتسبت.

أختاه: إن الجنة غالية، والثمن في مقابلها قليل فالتخلي عن متاع هذه الحياة الدنيا طلباً لسلعة الله عز وجل الغالية [الكامل]:

يا سلعة الرحمٰن لست رخيصة
بل أنت غالية على الكسلان
يا سلعة الرحمٰن ليس ينالها
في الألف إلا واحد لا اثنان

زوجة جُلَيْبيب رضي الله عنه

ادفعوني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني

ومن الشخصيات التي ظهرت ملامحها عبر صفحات التاريخ من خلال سطور قليلة في الكمية ولكنها كبيرة في القيمة والفائدة: زوجة الصحابي الجليل جُلَيْبيب. ولهذا الزواج قصة سطرها التاريخ عن أبي بَرْزة الأسلمي: أن جُلَيْبيباً كان امرأً من الأنصار. وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدٍ أيّمٌ لم يُزَوِّجها حتى يُعلِمَ رسول الله ﷺ: هل له فيها حاجة أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار: يا فلان زوِّجني ابنتك. قال: نعم ونعمة عين قال: إني لست لنفسي أريدها، قال: لمن؟ قال: لجليبيب قال: يا رسول الله حتى أستأمر أمها فأتاها فقال: إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك قالت: نعم ونعمة عين زوِّج رسول الله ﷺ، قال: إنه ليس لنفسه يريدها قالت: فلمن؟ قال: لجليبيب قالت: لا لعمر الله لا أزوج جليبيباً. فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ قالت الفتاة من خِدْرها لأبويها: من خَطبني إليكما قالا: رسول الله ﷺ قالت: أفتردون على

رسول الله ﷺ أمره؟ ادفعوني إلى رسول الله فإنه لن يُضيعني فذهب أبوها إلى النبي ﷺ فقال: شأنك بها فزوِّجها جليبيباً[(١)].

وفي رواية أن الفتاة تلت قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقالت: رضيت وسلَّمت لما يُرضي رسول الله ﷺ، فدعا لها رسول الله ﷺ وقال: «اللهم اصبب عليها الخير صباً ولا تجعل عيشها كداً» فكانت من أكثر الأنصار نفقة ومالا[(٢)].

تأملي أختاه هذا الموقف الذي سطره لنا التاريخ وهذا الاستسلام لأمر رسول الله ﷺ، وهذا التطبيق العملي لآيات الذكر الحكيم. فقد رضيت تلك المؤمنة باختيار رسول الله ﷺ لها وأنكرت على أبويها عدم الرضا باختياره، وقد كان جليبيباً قصيراً دميماً لا يملك شيئاً ولكن هذه المسلمة لم تفكر في كل هذه التفاهات بل فكرت كيف ترضى بما يُرضي الله ورسوله ﷺ. فرضيت بما يُرضي الله فكان جزاؤها من جنس عملها وأرضاها في الدنيا فكانت أيسر نساء المدينة مالاً ونفقة. فما أجمل هذه الطاعة وتلك الاستجابة من هذه المرأة المسلمة التي لم تناقش ولم تجادل بل رضيت بما رضي لها رسول الله ﷺ وقالت:

(١) صفة الصفوة (١/ ٣٦٦).
(٢) أسد الغابة (١/ ٣٤٨) الإصابة (١/ ٢٥٣).

ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني.

فبالله هل سطر لنا التاريخ موقفاً في السمع والطاعة كهذا في أي أمة من الأمم غير أمة الإسلام؟ وهل يصنع ذلك التسليم والاستسلام إلا إسلام حقيقي ملأ قلب تلك الفتاة وغيرها من صحابيات رسول الله ﷺ؟.

إن صحابيات رسول الله ﷺ لما أسلمن وجوههن لله وتأدبن على مائدة القرآن وتتلمذن على يد حبيب الرحمٰن بِعْنَ هذه الدنيا وقدَّمن طاعة الله ورسوله فصنعن تلك المواقف المشرقة عبر التاريخ.

أم الحارث الأنصارية

أم الحارث... ويوم حنين

لقد سطر التاريخ للمسلمات الكثير من مواقف الثبات والشجاعة، ومن هؤلاء المسلمات السابقات إلى الإسلام السيدة أم الحارث الأنصارية جدة عُمَارة بن غَزِيّة قال عنها ابن الأثير: شهدت حنيناً مع النبي ﷺ[1].

ومما جاء في خبرها من هذا اليوم عن أم عمارة: لما كان يومئذ «تعني يوم حنين» والناس منهزمون في كل وجه، وأنا وأربع نسوة في يدي سيف وأم سليم معها خنجر قد حزمته على وسطها وأم سَليط وأم الحارث قالوا: وكانت أم الحارث الأنصارية قد أخذت بخِطام جمل أبي الحارث زوجها وكان جمله يُسمى المِحبسار فقالت: يا حار، تترك رسول الله ﷺ فأخذت بخِطام الجمل، والجمل يريد أن يلحق بألُآفه والناس يولُّون منهزمين وهي لا تفارق. فقالت أم الحارث: فمر بي عمر بن الخطاب ﷺ فقالت أم الحارث: يا عمر ما هذا؟ فقال:

---

(١) أسد الغابة (٧/ ٣١٢).

أمر الله وجعلت أم الحارث تقول: يا رسول الله، من جاوز بعيري فأقتله والله إن رأيت كاليوم ما صنع هؤلاء القوم بنا ـ تعني بني سُليم وأهل مكة الذين انهزموا بالناس[1] ـ.

وهكذا ثبتت أم الحارث الأنصارية مع غيرها من المجاهدات الباسلات وحثت الفارين على العودة والدفاع عن الدين والزود عن رسول الله ﷺ، وحثت زوجها أن يعود ليُقاتل حتى لا يفر عن رسول الله ﷺ.

فأي ثبات وأي شجاعة تمتعت بها تلك المرأة المسلمة التي ثبتت في موقف عز فيه الرجال وصدق من قال [الوافر]:

فلو كان النساء كمن ذكرن
لفُضِّلت النساءُ على الرجال

(١) مغازي الواقدي (٣/ ٩٠١ ـ ٩٠٤) بتصرف.

فاطمة بنت الخطاب

يا ابن الخطاب ما كنت صانعاً فاصنعه فقد أسلمت

فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب، أسلمت قبل سيدنا عمر هي وزوجها سعيد بن عمرو بن نفيل. فلما علم عمر ذلك دخل عليها فشجّها فبكت وقالت: «يا ابن الخطاب ما كنت صانعاً فاصنعه فقد أسلمت»(١).

تأملي يا أختاه تلك القوة التي جعلت تلك المرأة الضعيفة لا تهتم بعمر بن الخطاب، وهو من هو في قوته وبطشه فقد كانت الرجال تخاف منه خوفاً شديداً. ولكنها قوة الإيمان والإسلام دفعت بتلك المؤمنة أن تقف ثابتة راسخة مؤمنة قوية في مواجهة سيدنا عمر وكان من بركة ذلك الثبات، أن كانت سبباً في إسلامه رضي الله عنه.

روى مجاهد عن ابن عباس قال: سألت عمر عن إسلامه فقال خرجت بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام فإذا فلان المخزومي قد أسلم فقلت: تركت دين آبائك واتبعت دين محمد؟ قال: إن

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٤٢).

فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقاً مني! قلت: من هو؟ قال: أختك وخَتَنُك[١] قال: فانطلقت فوجدت الباب مغلقاً وسمعت همهمة، ففُتِح الباب، فدخلت فقلت ما هذا الذي أسمع؟ قالت: ما سمعت شيئاً. وفي رواية أخرى قال: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا قال: فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنه: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على خَتَنه فوطئَه وطئاً شديداً فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدَمِيَ وجهها، فقالت وهي غضبى: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فلما يئس عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه ـ وكان عمر يقرأ الكتب ـ فقالت أخته: إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فقام فتوضأ[٢]. وأسلم بعدها بين يدي رسول الله ﷺ. فتأملي أختاه ذلك الموقف الذي سَجَلّه التاريخ لتلك المرأة المسلمة المؤمنة التي بارك الله لها وجعلها سبباً في إسلام خير الأمة بعد سيدنا محمد ﷺ وسيدنا أبي بكر الصديق. فقد واجهت رضي الله عنها

(١) الختن كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ وهم الأختان هكذا عند العرب. وأما العامة فَخَتَنُ الرجل عندهم زوج ابنته (مختار الصحاح للرازي ص ١٦٩).

(٢) صفة الصفوة (١/ ١٤٠) قصة إسلام عمر وأسد الغابة لابن الأثير (٧/ ٢٢٠) ترجمة فاطمة بنت الخطاب.

جبروت عمر بن الخطاب بقوة إيمانها وثباتها فقالت له إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون، لم تخف بطشه لأنها في حفظ الله ولأن إيمانها الذي غزا قلبها ثبّتها الله به وسجل لها التاريخ ذلك الموقف لتتعلم فيه المسلمة أن الثبات على الدين وقوة الإيمان خير من الدنيا وما فيها، وأن من يستعن بالله ويخاف منه يجب ألا يخاف مما سواه ما دام يشهد أن لا إله إلا الله فالخوف منه وحده والرجاء له وحده. ولقد ثبّت الله السيدة فاطمة في ذلك الموقف ولم تأخذها عاطفة الأخوة لأخيها الحبيب لأن الإيمان وحبه يغلب في قلب المسلمة على كل حب قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

وقال أيضاً: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

فمن كان من حزب الله يا أختاه لا يخاف أحداً من حزب الشيطان ويكون إيمانه أقوى في قلبه من حب أي مخلوق من المخلوقات فيعلنه صراحة في كل قول وفي كل فعل حتى يشهد بقوله وفعله أنه مؤمن بالله وبرسوله.

أم ورقة بنت عبد الله

الشهيدة صَدَقَت الله فَصَدَقَها

أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية وقد كان الرسول ﷺ والصحابة يسمونها: الشهيدة.

فعن عبد الرحمٰن بن خلاّد الأنصاري عن أم ورقة بنت نوفل: أن رسول الله ﷺ لما غزا بدراً قالت له: ائذن لي فأخرج معك فأُمرِّض مرضاكم لعل الله أن يرزقني الشهادة قال: «قرّي في بيتك فإن الله يرزقك الشهادة» قال: فكانت تسمى الشهيدة[(١)].

هكذا تكون المرأة المسلمة على استعداد دائم للتضحية والبذل في سبيل الله بل تتمنى ذلك. وعندما عَلِم الله صدق نيتها رزقها الشهادة وهي في بيتها، فتأملي يا أختاه ما أورده ابن الأثير عنها قال: كانت قد قرأت القرآن، فاستأذنت النبي ﷺ في أن تتخذ في دارها مُؤذِّناً، فأَذِن لها، قال: وكانت قد دَبَّرتَ[(٢)] غلاماً

(١) أسد الغابة (٧/ ٤٠٨)، ابن سعد (٨/ ٣٣٥) والحديث أخرجه أبو داود برقم (٥٩١) في كتاب: الصلاة، باب: «إمامة النساء».

(٢) العبد المدبر: الذي عُلّق عتقه بموت سيده.

لها وجارية، فقاما إليها بالليل فغمّاها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا. فأصبح عمر فقام في الناس فقال: من عنده من هذين عِلْم ـ أو: من رآهما ـ فليجىء بهما فأمر بهما فصُلبا فكانا أول مصلوب بالمدينة[١].

وهكذا تُقتل وهي في بيتها فتنال درجة الشهادة بقرارها في بيتها وصدقها مع ربها. وسجل لنا التاريخ ذلك الموقف لتقف على أهمية الصدق مع الله فمن صدق الله فسوف يصدقه الله ولو بعد حين فقد صدقها الله ورزقت الشهادة في عهد عمر وقد قيل أن عمر رضي الله عنه لما قيل له: إنها قتلت قال: صدق رسول الله ﷺ كان يقول: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة»[٢].

ولعلّ من الجدير بالذكر أن السيدة أم ورقة كما جاء في الحديث عنها كانت تحفظ القرآن، وكانت من العابدات الزاهدات وذلك هو الذي أهلها لتكون إمامة لأهل بيتها رغم أنها امرأة، وهكذا القرآن والاهتمام به فهو يرفع من يُصاحبه ويجعل له الذكر الحسن والرفعة في الدنيا والآخرة. فَلَعّل الله يا أختاه أن يرزقنا حفظ كتابه والعمل به حتى يكون قائداً لنا إلى الجنة بإذن الله.

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٧/ ٤٠٨).
(٢) المصدر السابق والاستيعاب (٤/ ١٩٦٥).

أميَّة بنت قيس بن أبي الصَّلت

صبية صغيرة تخرج للجهاد في سبيل الله

ومن المواقف التي سطرها لنا التاريخ، مواقف نساء حملنْ همَّ الإسلام فحرصن على خدمته بكل وسيلة ممكنة، ومنهن أُمَيَّة بنت قيس بن أبي الصلت ذكرها ابن الأثير[١].

ومما جاء في خبرها يوم خيبر ما رواه الواقدي في المغازي عن أم عليّ بنت الحَكَم عن أمية بنت قيس بن أبي الصلت الغِفاريّة قالت: جئت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غِفار فقلنا: إنا نريد يا رسول الله أن نخرج معك في وجهك هذا فنداوي الجرحى ونُعين المسلمين بما استطعنا. فقال رسول الله ﷺ: على بركة الله. قالت: فخرجنا معه وكنت جارية حديثة السن، فأردفني رسول الله ﷺ على حقيبة رحله، فنزل الصبح فأناخ وإذا أنا بالحقيبة عليها دمٌ منّي، وكانت أول حيضة حِضتها، فتقبضت[٢] إلى الناقة واستحييت فلما رأى رسول الله ﷺ

---

(١) أسد الغابة (٧/ ٣١).

(٢) تَقَبضْتُ: انْزَوَتْ.

ما بي ورأى الدم قال: لعلك نُفست؟ قلت: نعم قال: فأصلحي من نفسك، ثم خذي إناءً من ماء ثم اطرحي فيه ملحاً واغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي. ففعلت. فلما فتح الله خيبر رَضَخ لنا من الفيء ولم يسهم وأخذ هذه القلادة التي تَرَين في عنقي فأعطانيها وعلَّقها بيده في عنقي فوالله لا تفارقني أبداً. وكانت في عنقها حتى ماتت وأوصت أن تدفن معها. وكانت لا تطهر إلا وجعلت في طهورها ملحاً وأوصت أن يُجعل في غُسلها ملح حين غُسِّلت»(١).

وفي هذا الموقف تظهر لنا العديد من الفضائل للسيدة أمية التي خرجت وهي حديثة السن صغيرة، لتنال شرف الجهاد وتساعد المسلمين هي ومن معها بما تقدر عليه. وقد سطر لنا التاريخ موقفها ليدل على أن الجهاد لا يقتصر على النساء الكبيرات بل الإسلام يُعطي الفرصة للجميع كي يساعدوا من يجاهد في سبيل الله.

ومن فوائد ذلك الخبر بيان حرص الصحابيات على تنفيذ أوامر رسول الله ﷺ، فلأنه ﷺ أمرها بوضع ملح في طهورها فلازمت على ذلك حتى ماتت بل وطلبت ممن يغسلها وأوصته أن يجعل في غُسلها ملحاً وذلك استجابة لأمر رسول الله ﷺ

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٦٨٥، ٦٨٦) والخبر في طبقات ابن سعد (٨/ ٢٩٣).

الذي تعلقت قلوب الجميع بأوامره وكان الجميع يتبركون به ﷺ. حتى أنها لم تخلع القلادة التي علّقها لها رسول الله ﷺ بيده فأي حب هذا؟ وأي استجابة واقتضاء لأثر رسول الله ﷺ تعلمته تلك الفتاة المسلمة؟ وهل لنا نحن مسلمات اليوم من قدرة حسنة فنقتدي بسنة الحبيب المصطفى ﷺ الذي وضع لنا سنة حسنة في كل أمر من أمور حياتنا فلتكن حياتنا يا أختاه جهاداً في سبيل الله واتباعاً لسنة رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

أم رُومَان بنت عامر

امرأة من الحور العين

ومن النساء اللاتي شهد لهن التاريخ بالفضل والثناء، أم رومان بنت عامر الكنانية امرأة أبي بكر الصديق ﷺ وأم الصديقة عائشة بنت أبي بكر وعبد الرحمٰن[1]. وقد كانت من السابقات إلى الإسلام وقد بذلت الكثير هي وزوجها الصديق في سبيل الله وهاجرت مع السيدة عائشة والسيدة أسماء بصحبة سيدنا زيد بن حارثة.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما هاجر رسول الله ﷺ خلفنا وخلف بناته، فلما استقر بعث زيد بن حارثة وبعث معه أبا رافع مولاه وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم أخذها من أبي بكر يشتريان بهما ما يحتاجان إليه من الظَّهر. وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط ببعيرين أو ثلاثة وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر أن يحمل أمي أم رومان وأنا وأختي أسماء امرأة الزبير[2].

---

(١) أسد الغابة (٧/ ٣٣١) ـ العقد الثمين (٨/ ٣٤١) الاستيعاب (٤/ ١٩٣٥).

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٩٣٧) وأسد الغابة (٧/ ٣٣٢).

وقد جاء في فضلها أن رسول الله ﷺ قال: «من سرّه أن ينظر إلى امرأة من الحُور العين فلينظر إلى أم رومان»[١]. وفي ذلك بشارة لها وبيان فضلها وبذلها في سبيل الله. وقد توفيت في حياة النبي ﷺ وذلك في سنة ست من الهجرة فنزل رسول الله ﷺ قبرها واستغفر لها وقال: «اللهم لم يَخْفَ عليك ما لَقِيت أمُّ رُومان فيك وفي رسولك»[٢].

وهكذا قدمت السيدة أم رُومان الكثير وبذلت الكثير بشهادة رسول الله ﷺ. فماذا تُقدم المرأة المسلمة لدينها اليوم وبماذا تضحي؟ وهل تشغل بالها بأمر دينها والدعوة إليه أم تشغل بُحطام الدنيا الفانية؟ أرجو الله يا أختاه أن تبذلي نفسك ووقتك وولدك في سبيل الله لتكوني من الحور العين اللاتي ينعمن في الجنة ولتنالي رضا رب العالمين الذي لم يَخْفَ عليه بذل أم رُومان ولن يخف عليه أبداً ما تبذلينه في سبيله.

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٩٣٩) والعقد الثمين (٨/ ٣٤١).
(٢) المصدرين السابقين.

أسماء بنت عُميس

ذات الهجرتين وزوجة الخليفتين الراشدين

أسماء بنت عُميس بن معبد بن الحارث الخثعمية. من السابقات إلى الإسلام فقد أسلمت قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم وقد كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب أو جعفر الطيار[١]، وقد هاجرت معه إلى الحبشة وولدت له عبد الله ومحمداً وعوناً، ثم هاجرت معه إلى المدينة في سنة سبع.

ومما سجله التاريخ لنا من فضلها أن الرسول ﷺ بشرها أن للناس هجرة ولها هجرتان [إلى الحبشة ثم إلى المدينة].

روى البخاري في صحيحه لما قدمت أسماء من الحبشة قال لها عمر: يا حبشية سبقناكم بالهجرة، فقالت: لعمري، لقد صدقت كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويُعلم جاهلكم وكنا البعداء الطرداء، أما والله لأذكرن ذلك لرسول الله ﷺ فأتته فقال: «للناس هجرة واحدة ولكم هجرتان»[٢].

---

(١) سُمي طيّاراً لأنه لما نال الشهادة جعل الله تعالى له جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

(٢) البخاري كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر ومسلم (٢٥٠٣) في فضائل الصحابة.

وهكذا نالت السيدة الفاضلة ذلك الوسام أن لها هجرتين هاجرت فيهما إلى الله ورسوله، ولم يكن لها الفضل في الهجرة والجهاد فحسب بل لقد كانت ذات فضل واسع وقوة رهيبة مما جعلها تخرج للحج مع رسول الله ﷺ وهي في أواخر أيام حملها، حتى أنها ولدت في ذي الحليفة فأي امرأة هذه هي التي تخرج للحج وهي في تلك الأيام؟.

جاء عن جابر في حديث حجة النبي ﷺ: حتى إذا أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر فأرسلت إلى رسول الله ﷺ: كيف أصنع؟ قال: «اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي»[(١)] هكذا خرجت للحج في أواخر أيام حملها ولم يمنعها حياؤها من السؤال عن أمور دينها.

وكما أنها كانت ذات الهجرتين فقد أكرمها الله بزواجها من خليفتين راشدين هما سيدنا أبي بكر وسيدنا عليّ رضي الله عنهما وكانت لهما نعمَ الزوجة.

فقد مات عنها سيدنا جعفر شهيداً، ثم تزوجها سيدنا أبي بكر رضي الله عنها وقد كانت له نعم الزوجة وولدت له محمد بن أبي بكر [وهو المولود الذي ولدته في أثناء حجة الوداع] وقد أحبها زوجها الصديق حباً شديداً حتى أنه أوصى بأن تغسله عند

---

(١) مسلم رقم (١٢١٨) وابن سعد (٨/ ٢٢١) وأحمد (٦/ ٣٦٩).

موته فغسلته. وعن عبد الله بن أبي بكر: أن أسماء غسلت أبا بكر فسألت من حضر من المهاجرين وقالت: إني صائمة وهذا يوم شديد البرد فهل عليّ غسل؟ فقالوا لا[١].

ثم تزوجت بعده الخليفة الراشد «علي بن أبي طالب» فولدت له يحيى وعَوْناً[٢]، فكانت زوجة لخليفتين راشدين.

ومن المواقف التي تدل على عظيم شأن أسماء بنت عُميس وفضلها ما جاء عنها في إحدى جلساتها مع سيدنا علي بن أبي طالب:

فعن زكريا بن أبي زائدة قال: سمعت عامراً يقول: تزوج عليٌّ أسماء بنت عُميس فتفاخر ابناها محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فقال كل منهما: أنا أكرم منك، وأبي خيرٌ من أبيك.

قال: فقال لها علي: اقضِ بينهما قالت: ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر، ولا رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر.

فقال علي: ما تركتِ لنا شيئاً، ولو قلت غير ذلك لمقتك.

قالت: إن ثلاثة أنت أخسُّهم خيار[٣].

---

(١) مالك (١/ ٢٢٢، ٢٢٣) وابن سعد (٨/ ٢٨٤) وعبد الرزاق (٦١٢٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٦) ابن سعد (٨/ ٢٨٠).
(٣) ابن سعد (٨/ ٢٨٥).

أي أن ثلاثة أنت أقلهم خيار، أي أن كلكم خيار وكلكم فضلاء وكان علي رضي الله عنه يثني عليها ويفضلها على زوجاته. وهكذا كانت أسماء امرأة ذكية عاقلة تعرف فضل أزواجها وشرفهم ولا تُغضب أبناءها ولا تفرق بينهم فكانت نعم المهاجرة ونعم الزوجة ونعم الأم. فليتك أختاه تحرصي على اقتفاء آثار هذه المرأة الفاضلة فتحرصين على عدم التفرقة بين الأولاد والبنات، ولا تغضبي زوجك حتى يكون عنك راضٍ فهو جنتك ونارك. وكوني كأسماء مهاجرة في كل وقت وحين من المعاصي إلى الطاعة ومن الجهل إلى العلم. فاللهم ارزقنا توبة وهجرة صادقة في سبيلك.

أم الدحداح

رَبح البيع يا أبا الدحداح

ومن النساء اللاتي سطر لهن التاريخ مواقف مشرقة يُشهد بفضلهن ومكانتهن عبر التاريخ: السيدة أم الدحداح وهي زوجة ابن الدحداح(١). وهي من صحابيات رسول الله ﷺ وقد ورد ذكرها في حديث أبي الدحداح وصدقته بالحائط:

روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال أبو الدحداح الأنصاري: «يا رسول الله، وإن الله ليريد منا القرض؟» قال: «نعم يا أبا الدحداح». قال: «أرني يدك يا رسول الله. قال: فناوله يده، قال: «فإني قد أقرضت ربي حائطي» وله حائط فيه ستمائة نخلة. وأم الدحداح فيه وعيالها قال: فجاء أبو الدحداح فناداها: «يا أم الدحداح قالت: لبيك قال: اخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل» وفي رواية أنها قالت له: «ربح بيعك يا أبا الدحداح ونقلت منه

---

(١) أسد الغابة (٧/ ٣٢٧).

متاعها وصبيانها وإن رسول الله ﷺ قال: «كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح»[١].

تأملي أختاه تلك المرأة المسلمة التي عاونت زوجها على الخير الذي أراده في رضا ورغبة فيما عند الله فلم تقل له دعه لصغارنا أو لماذا فعلت هذا ألم تستطع إخراج بعضه وترك بعضه لنا.

لم تفعل بل زادت من قوته على العمل الصالح وبشرته بأن ما قام به إنما هو بيعة رابحة وما هو البيع الرابح إذن إلا ما بيع لله ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [النحل: ٩٦].

فهل لك يا أختاه في أم الدحداح قدوة فتحثي زوجك على بذل ماله لله وفي سبيل الله؟ وهل لك فيها من أسوة حسنة فتبيعي الدنيا على يقين بما أعده الله لكِ في الجنة قال تعالى:

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ﴾ [الرعد: ٣٥] وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢١﴾ [الحديد: ٢١].

---

(١) قال في مجمع الزوائد.

آسيا بنت مزاحم

امرأة يضرب الله بإيمانها المثل

قال السهيلي: آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد ـ الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف ـ وقيل إنها كانت من بني إسرائيل سبط موسى، وقيل بل كانت عمته[1].

وقد جاء عنها في كتاب الله العديد من الآيات التي نستوضح منها ملامح شخصيتها عبر صفحات التاريخ قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص: ٩].

قال ابن كثير: يعني أن فرعون همَّ بقتل موسى عليه السلام خوفاً من أن يكون من بني إسرائيل، فشرعت امرأته آسية بنت مُزاحم تخاصم عنه وتذب دونه وتحببه إلى فرعون، فقالت: «قُرَّة عين لي ولك» فقال فرعون: أمّا لكِ فنعم وأمّا لي فلا. وكان كذلك فهداها الله بسببه وأهلكه الله على يديه[2].

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٢٦٢) طبع مكتبة السنة.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٨).

وهكذا كانت السيدة آسية سبباً في نجاة سيدنا موسى من القتل فكان جزاؤها من جنس عملها فنجاها الله به من فرعون وقومه الظالمين ورزقها بيتاً في جنته.

ولقد عاش سيدنا موسى في رعايتها وحفظها وأحبته حباً شديداً. ولذلك لما دعا إلى الإيمان بالله وحده كانت من أوائل المؤمنات. ولقد ضرب الله عز وجل لهذه المرأة وبإيمانها المثل وخلّد ذلك في كتابه العزيز لأنها أعلنت إيمانها في مواجهة بطش زوجها فرعون اللعين، ولم تخف شيئاً في جنب الله ولم تخدعها مظاهر المُلْك والترف التي كانت تحيا فيه في ظل قصر فرعون بل رفعت رأسها إلى رب السماء في موقف رائع تسأل رب السماء أن يرزقها بيتاً في جواره قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ١١].

قال قتادة: كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم فوالله ما ضرّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: إن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها فكان إذا تفرقوا عنها ظلّلتها الملائكة

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٤).

فقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١﴾ [التحريم: ١١] فكشف لها عن بيتها في الجنة[١].

قال الدكتور عمر الأشقر: وقفت بعض النساء مواقف إيمانية متميزة عبر التاريخ. وبعض هذه المواقف يعجز عنها الرجال ومن هؤلاء آسيا ملكة مصر امرأة فرعون. فقد جادت بنفسها لله عز وجل وآثرت ما عنده وتخلت عن الدنيا وصبرت على عذاب زوجها حتى فاضت روحها إلى بارئها[٢].

وهكذا يا أختاه ثبتت تلك المرأة المؤمنة في التغلب على حب الدنيا فقد اختارت ما عند الله وآثرت بيتاً عنده في الجنة على قصر فرعون وشتان بين الدار والدار والجوار والجوار.

فأين جوار فرعون اللعين من جوار رب العالمين الذي أحبته السيدة آسيا وآمنت به فجعلها الله من الذين يرفع قدرهم عنده وضرب بها المثل في الإيمان؟ وأي مكانة نالتها تلك المرأة المؤمنة الصادقة؟ فقد ضرب الله بها المثل في الإيمان وضرب رسول الله بها المثل في الكمال،فقال عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمُل من الرجال كثير ولم يكْمُل من

---

(١) رواه أبو يعلى (٦/ ٣٥) رقم (٢٥٠٨) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٥٠٨).

(٢) صحيح القصص النبوي (٢٧٩) ط (دار النفائس).

النساء: إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[١].

وهكذا يا أختاه وصلت تلك السيدة الكاملة إلى مكانة عالية لأنها تنازلت عن الدنيا لوجه الله فرفع الله قدرها. وهكذا يا أختاه يكون الجزاء من جنس العمل فهل لنا في تلك المرأة الفاضلة من أسوة حسنة.

(١) البخاري (٣٤١١) كتاب الأنبياء، ولمزيد من التفصيل عليك برسالتي (حسن الأسوة في ذكر من كَمُل من النسوة) طبع مكتبة السنة.

ماشطة فرعون

تقتحم النار بنفسها وأولادها في سبيل الله

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كانت الليلة التي أسري بي فيها، أتت عليّ رائحة طيبة فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها قال: قلتُ وما شأنها؟ قال: بينما هي تُمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقط المِذرى[1] فمدت يدها فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا ولكنه ربي وربُّ أبيك الله، قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها فقال: يا فلانة، وإن لك رباً غيري؟ قالت: نعم ربي وربك الله. فأمر ببقرة من نحاس[2]، فأُحميت ثم أمر بها أن تُلقى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق قال: فأمر

(١) المِذرى: أداة يُسرح بها الشعر.

(٢) بقرة من نحاس: إناء كبير من نحاس على هيئة البقرة.

بأولادها فأُلقوا بين يديها واحداً واحداً إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مُرْضَع وكأنها تقاعست من أجله قال: يا أُمَّه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت».

قال ابن عباس: تكلم أربعة صغار وذكر منهم ابن ماشطة فرعون[(١)].

يقول الدكتور عمر الأشقر: كانت هذه المرأة تعيش في قصر الملك وكانت تُعنى بابنته فُتمشط شعرها وتقوم على أمرها. ومن كان هذا عمله لا بد أن يكون مُكرمًا مُعَززًا مرفهاً، ولكن الإيمان غزا قلبها وملك عليها أمرها كما غزا قلب الملكة زوجة فرعون. فالإيمان يجد له طريقاً إلى قلوب الأغنياء كما يجده إلى قلوب الفقراء عندما يريد الله بعبده خيراً. وقد كتمت هذه المرأة إيمانها كما كتمته زوجة فرعون وكتمه مؤمن آل فرعون ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ [غافر: ٢٨] ولكنه مهما حاول المرء أن يكتم ما يجري في أعماق نفسه فلا بد أن تدل عليه تصرفاته وسَمْتُه وحركاته وأقواله. ففي بعض الأوقات يغفل الإنسان عن نفسه فيتصرف على سجيته[(٢)]. ثم ذكر حفظه الله في عبر هذا الحديث وفؤائده ما مُلخصه:

---

(١) الحديث رواه أحمد (٣/ ٣٠٩) وحسّنه محققوا المسند وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٦٥): رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط.

(٢) صحيح القصص النبوي (٢٨٩).

١ ـ بيان ما يفعله الإيمان في النفوس ففي سبيل الله يستروح المؤمنون العذاب ويواجهون الطغاة، ولا ينفع في مواجهة المؤمن أشد ألوان الظلم وأقسى أنواع التعذيب.

٢ ـ إكرام الله لأوليائه الذين بذلوا نفوسهم رخيصة في سبيله فقد أعلى مقام هذه المرأة ـ مع كونها امرأة ـ وأكرمها إكراماً عظيماً هي وأولادها.

٣ ـ لم تكن هذه المرأة منتحرة عندما اقتحمت النار فقد أرادت أن تَغُم فرعون وزبانيته، فبدل أن ترضي غرورهم بتمتعها وصياحها ورفضها الإلقاء في النار اقتحمتها بنفسها غير هيَّابة ولا وجلة فزاد ذلك من غيظهم وقهرهم، وأبانت لهم حقارة أنفسهم. ففي الدنيا من لا يقبل المذلة ويأبى أن يطأطىء رأسه للظلم والظالمين ولا يكون ذلك إلا من المؤمنين والمؤمنات.

٤ ـ الجزاء من جنس العمل فهذه المرأة لما انبعثت روائح احتراق جسدها وجسد أولادها جعل الله لها رائحة طيبة عطرة تفوح منها ومن أولادها في السمٰوات العلى.

٥ ـ يثبت الله عباده الذين شاء لهم الكراهة في المواقف الصعبة فقد أنطق الله الطفل الرضيع فأمر أمه بالثبات، وبذلك قطع ما دار في خلدها (عقلها) من وساوس الشيطان[١].

(١) باختصار من صحيح القصص النبوي (٢٩٣ ـ ٢٩٤).

وهكذا سطر لنا التاريخ موقف تلك المؤمنة التي تقتحم النار لا تخاف على شيء ولا تحزن على شيء، ففي سبيل الله يهون كل شيء وقد عبّر موقفها عن الثبات الحق على دين الله لأنها لم تخف فرعون وبطشه ذلك اللعين الذي كان يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] فأخذه الله وجعل الإيمان يتسرب إلى قلوب أقرب الناس إليه ولا عجب فقد خرج سيدنا موسى من قصر فرعون وهكذا دائماً يجعل الله لأهل الحق أقواماً يثنيون عليه فيقوى بقوتهم ويضحون في سبيله بكل شيء فيرفع الله شأنهم ويخلد ذكرهم.

فقد بذلت تلك المؤمنة نفسها وأولادها في سبيل ربها الذي آمنت به واهتدت بهديه، ولم تتراجع أمام نار فرعون واقتحمتها وهي ثابتة متمسكة بدينها، ولكنها كادت أن تتراجع حين همّوا بقذف رضيعها ولكن أراد الله لها الكرامة فثبتها وأنطق لها رضيعها وقال لها: «يا أمه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة» فاجعلي هذا النداء دائماً قريباً من قلبك يا أختاه وتأملي فيما سطره لنا التاريخ عن تلك المؤمنة حتى نثبت على الحق في مواجهة الباطل فيكون لك الذكر الطيب في السمٰوات العلى، تفوزي بجنة عرضها السمٰوات والأرض أُعدت للمتقين الذين يتقون عذاب الله لا عذاب البشر. فعذاب البشر هيِّن في مُقابل عذاب الله نسأل الله أن يعافينا ويرزقنا الثبات في الدنيا والآخرة.

سارة أم إسحاق

امرأة تهزم طاغية

السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام ـ كانت لها مواقف مشرقة عبر التاريخ. ومن أهم ما استوقفني أمامها قصتها مع الطاغية الذي أراد بها الفاحشة فحفظها الله منه. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله». قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ **[الصافات: ٨٩]** وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ **[الأنبياء: ٦٣]** وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة إذ نزل منزلاً فأتى الجبار فقيل له: إنه قد نزل هاهنا رجل معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها فقال: إنها أختي، فلما رجع إليها قال: إن هذا سألني عنك فقلت: إنك أختي، وإنه ليس اليوم مسلم غيري وغيرك وإنك أختي في الإسلام فلا تكذبيني عنده. فانطلق بها فلما ذهب يتناولها أُخِذُ فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت له فأرسل. فذهب يتناولها فأُخِذَ مثلها أو أشد منها، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأرسل ثلاث مرات فدعا أدنى حشمه فقال: إنك لم تأتني بإنسان ولكن أتيتني

بشيطان، أخرجها وأعطها هاجر، فجاءت وإبراهيم قائم يُصلي فلما أحس بها انصرف فقال: مَهْيَمْ؟ فقالت «كفى الله كيد الظالم وأَخْدَمَنِي هاجر»[١].

وفي هذا الحديث فضل كبير للسيدة سارة فهي امرأة ضعيفة في مواجهة هذا الطاغية، ولكن قوة الإيمان والإسلام جعلتها تركن إلى الله وتدعوه، فقد جاء في رواية أخرى للحديث «فلما دخلت عليه قام إليها، فأقبلت تتوضأ وتصلي وتقول: اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليَّ الكافر قال فقط حتى ركض برجله»[٢].

وهكذا تستعين المرأة الضعيفة بقوة الملك العزيز فتهزم بعون الله ذلك الطاغية وينصرف عنها وتُكفى شره. ولكن بأي سلاح واجهته إنه سلاح الإيمان والتوسل بالأعمال الصالحة فقد توسلت إلى الله بإيمانها بالله وبرسوله سيدنا إبراهيم عليه السلام، وتوسلت إليه بعفافها وعفتها وأنها أحصنت فرجها إلا على زوجها. فكان جزاؤها من جنس عملها فكما عفَّت أعفها الله وحفظها من شرور ذلك الطاغية وسجل موقفها في صفحات التاريخ، لتظل قدوة لكل امرأة مسلمة تسعى للتخلص من كيد أي ظالم أو كيد أي طاغية فعليها باللجوء إلى جبار السمٰوات

(١) البخاري (٣٣٥٧) الأنبياء، ومسلم (٢٣٧١/ ١٥٤) كتاب: الفضائل.
(٢) البخاري (٥٠٨٤) النكاح، وانظري قصص الأنبياء لابن كثير (ص ١٣٣).

والأرض، ونسأل الله أن ينجينا وينجي بناتنا من شرور المجتمع ومن شرور المفسدين فيه وأن يمن على أمة حبيبه المصطفى بالعفة والعفاف وهداية شباب وبنات المسلمين آمين.

هاجر أم إسماعيل

إذن لن يضيعنا

ومن النساء اللاتي ذكر لهن التاريخ مواقف مشرقة: هاجر المصرية أم سيدنا إسماعيل عليه السلام. وقد جاء عنها أن سارة زوجة سيدنا إبراهيم لما لم يرزقها الله الولد، وهبت له هاجر لعل الله أن يرزقه منها. وبالفعل ولدت سيدنا إسماعيل عند ذلك غارت سارة من هاجر فأمرته بأن يرحل بها بعيداً عنها وهذه هي الرواية التي جاءت في ذكرها:

عن ابن عباس قال: «أول ما اتخذ النساء المِنْطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتُعَفِّي[1] أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل - وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندها جراباً فيه تمر وسِقاء فيه ماء.

ثم قَفّى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا

(١) أي تخفي أثرها.

إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء، فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لن يضيعنا. ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوّى ـ أو قال يتلبط ـ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم ترى أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس قال النبي ﷺ: «فذلك سعي الناس بينهما» فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه، تريد نفسها، ثم سمعت أيضاً فقالت: قد أُسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ـ أو قال:

بجناحه ـ حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ـ أو قال ـ: لو لم تغرف من الماء ـ لكانت زمزم عيناً معيناً» قال: فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن هاهنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله[١]. تأملي يا أختاه هذا الموقف الذي سجله التاريخ لأمنا هاجر، فقد آمنت بالله وتعلق قلبها به وحده لما تركها سيدنا إبراهيم حيث لا جليس ولا أنيس، رددت كلمات سجلها التاريخ بمداد من نور «إذن لن يضيعنا» وكان جزاؤها من جنس عملها فلما وثقت أن الله لن يضيعها هي ووليدها وفقها الله إلى الدعاء والرجاء والسعي بين الصفا والمروة، حتى يكون ذلك السعي هو سعي الأمة المسلمة من بعد أمة محمد ﷺ الذي هو أحد أولاد ابنها إسماعيل. فأعلى الله قدرها فجعل الأمة المسلمة وهي خير أمة تسعى بين الصفا والمروة كما سعت وذلك لعقد الصلة بين المسلمين في كل مكان وفي كل زمان. وهكذا يعلمنا الله عز وجل أن نكون يداً واحداً أمة واحدة نحب بعضنا البعض ونقف في وجه كل من يريد الإسلام بضر. فيا أمة الإسلام اتحدي ولتسألي التاريخ عن أيامك المجيدة وعودي إلى دينك كي يُرجع

(١) الحديث رواه البخاري مطولاً (٣٣٦٤) كتاب الأنبياء.

الله لك عزتك، وأنتِ يا أمة الله كوني كهاجر وتوكلي على الله وحده وتعلقي به سبحانه حتى يرفع شأنك ويكفيك أمرك، وكوني من أهل الله وأهل طاعته وأهل ذكره فإن الله كما جاء في الحديث «لا يضيع أهله».

رحم الله أمنا هاجر، لقد ضربت أروع مثل في التوكل على الله فكان موقفها وشرفها فوق كل شرف وفوق كل فضل. وعندما يسعى المسلمون والمسلمات اليوم بين الصفا والمروة، يذكرون هاجر وكيف رزقها الله الماء والفضل، وكيف أن هذا كان بفضل الله أولاً ثم بحسن توكلها على الله. فهل لنا يا أختاه أن نقتدي بهاجر فنلجأ إلى الله أن يرزقنا حسن التوكل عليه وأن يرزقنا الوحدة حتى يعود لنا فضلنا السالف؟ قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فيا أمة الله كوني من أهل الله واجتهدي في تربية أولادك وبناتك على ذلك، لعل الله أن يرزقك الفضل فتكونين أماً أو جدةً لمن يعيد للإسلام مجده كما كانت السيدة هاجر جدة لخير البشر.

بلقيس ملكة سبأ

امرأة تسود قومها أسلمت لربها

بلقيس ملكة سبأ سطر لنا التاريخ عنها سيادتها لقومها رغم أنها امرأة. وذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز فقال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ۝٢٣﴾ [النمل: ٢٣].

قال ابن كثير: يذكر ما كان عليه ملوك سبأ في بلاد اليمن مِنَ المملكة العظيمة والتابعة المُتوَّجِين، وكان المُلك قد آل في ذلك الزمان إلى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يُخلِّف غيرها فملكوها عليهم[١].

وهذه المرأة هي بلقيس بنت البشرِخ وقيل شراحيل بن ذي جَدَنْ بن البشرِخ بن الحارث .... بن قحطان وكان أبوها من أكابر الملوك وكان قد تأبّى أن يتزوّج من أهل اليمن فُيقال: أنه تزوج بامرأة من الجنّ ولدتَ له هذه المرأة واسمها بَلْعَمَه ويُقال لها بَلْقِسْ[٢].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (/ ٣٣٠).

(٢) عرائس المجالس (٢٧٨، ٢٧٩) البداية والنهاية لابن كثير (/ ٣٣٠).

وذكر الثعْلَبِي وغَيره أن قومها ملَّكوا عليهم بعد أبيها رجلاً فعمّ به الفساد، فأرسلت إليه تخطُبهُ فتزوجها، فلما دخلت عليه سَقَتُه خمراً ثُمَّ حَزَّت رأسه ونصبته على بابها، فأقبل الناس عليها وملَّكوها عليهم(١).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] قال ابن كثير أي: من متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك المتمكن ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣] يعني سرير تجلس عليه، عظيم هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر واللآلىء(٢).

ولكن هذه الملكة كانت كافرة بالله هي وقومها وكانت تعبد الشمس. ولما أخبر الهدهد سليمان بأمرها، بعث معه سليمان عليه السلام كتابه إليها يتضمن دعوته لهم لطاعة الله وطاعة رسوله، والإنابة والإذعان إلى الدخول في الإسلام والخضوع لملكه وسلطانه [أي سيدنا سليمان]. ولذلك قال: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾ [النمل: ٣١] أي لا تستكبروا عن طاعتي وامتثال أوامري و﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١] أي واقدمُوا عليّ سامعين مطيعين بلا مُعاودة ولا مُراودة(٣). وبالفعل حمل الهدهد الكتاب بلا جدال وجاء إلى قصرها فألقاه إليها فجمعت أمَرَاءها ووزراءها وأكابر دولتها.

---

(١) الكامل لابن الأثير (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٩).
(٣) المصدر السابق.

وسجل لنا القرآن قولها: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٢٩ ـ ٣١].

ثم شاورتهم في أمرها وما قد حلّ بها وتأدّبت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ [النمل: ٣٢] يعني ما كنت لأَبُتَّ أمراً إلا وأنتم حاضرون.

هكذا كافرة تستشير من حولها في أمرها، وتأخذ بأصول الأدب في الحديث وأصول الشورى. فهل للمسلمة اليوم من استخدام تلك الأساليب من الأدب في الحديث والشورى في كل أمورها؟

ثم أخبروها أنهم سامعون لها ومطيعون، وفوّضوا إليها في ذلك الأمر لترى فيه ما هو الأصح لها ولهم. فكان رأيها رغم أنها امرأة أتم وأسدَّ من رأيهم وقد علمت أن صاحب هذا الكتاب لا يُغالب ولا يُمانع ولا يُخادع فقالت: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: ٣٤ ـ ٣٥].

قال ابن عباس: أي أن الملوك إذا دخلوا بلداً عنوة أفسدوه أي: خربوه وقصدوا من فيها من الولاة والجنود فأهانوهم غاية الهون إما بالقتل أو الأسر[١].

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥٠).

ثم عدلت إلى المصالحة والمهادنة والمخادعة فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: ٣٥]. أي سأبعث إليه بهدية تليق بمثله وأنظر ماذا يكون جوابه فلعله يقبل ذلك مِنَا ويكف عنا أو يضرب علينا خراجاً نحمله إليه في كل عام، ونلتزم له بذلك ويتركُ قتالنا ومحاربتنا(١).

قال قتادة: رحمها الله ما كان أعقلها في إسلامها وشركها علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس(٢).

وقال ابن عباس: قالت لقومها إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه(٣).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [النمل: ٣٦] هذا وقد كانت تلك الهدايا تشتمل على أمور عظيمة كما ذكره المفسرون(٤). وأعرض عنها سيدنا سليمان وقال لرسولها ووافدها والناس حاضرون ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل: ٣٧]. ولما بلغهم ذلك

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥٠).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥٠).
(٣) المصدر السابق.
(٤) انظر القصة بالتفصيل تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٨ ـ ٣٥٣).

عن سيدنا سليمان لم يكن لهم بُدٌّ من السمع والطاعة فبادروا إجابته في تلك الساعة وأقبلوا في صُحْبَة الملكة سامعين مطيعين. ثم أمر سيدنا سليمان أحد جنوده من المؤمنين الصادقين أن يحضر له عرش بلقيس فحمله في لمح البصر وعندما جاءت سليمان: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝٤٢﴾ [النمل: ٤٢].

وقولها: «كأنه هو» يدل على فطنتها وغزارة فهمها، لأنها استبعدت أن يكون عرشها لأنها خلَّفته وراءها بأرض اليمن، ولم تكن تعلم أن أحداً يقدر على هذا الصُّنع العجيب[١].

ثم يذكر لنا القرآن إسلامها بين يدي سيدنا سليمان ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وهكذا اهتدى قلب السيدة بلقيس ولم يشغلها ملكها، ولم تتكبر ـ لكونها ملكة ـ عن الإذعان لأمر الله والاستسلام له عز وجل. فسجّل لنا التاريخ قصتها وسجل لنا القرآن الكريم حكايتها ليكون جزاؤها من جنسِ عملها. فلما تواضعت لله وسمعت وخضعت له أعلى شأنها بنزول قرآن يُتلى إلى قيام الساعة، وليسجل اسمها في سجل المؤمنات الخالدات المسلمات لله عز وجل.

(١) البداية والنهاية (٢/ ٣٣٦).

وقد ذكر الثعلبي وغيره أن سليمان ـ عليه السلام ـ تزوَّجها وأقرَّها على مملكة اليمن وردّها إليه، وكان يزورها في كل شهر مرة فيُقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على البِساط، وأَمَر الجانّ فبنوا لها ثلاثة قصور باليمن غُمْدَان وسَالحِين وبيتونَ[1].

وهكذا كرَّم الله السيدة بلقيس بإسلامها وزواجها من النبي سليمان ـ عليه السلام ـ وبقائها في مُلك هو خير من مُلْكها وهكذا في ظل الإسلام دائماً يعلو شأن المؤمنات الصادقات اللاتي يَقبلن على الإسلام ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠].

(١) الكامل لابن الأثير (١/ ٢٣٧)، البداية والنهاية (٢/ ٣٣٧).

خولة بنت الأزور

الفارسة المُلثَّمة

ومن النساء اللاتي سجل لهن التاريخ صفحات ناصعة بيضاء تدل على الشجاعة والبذل والتضحية: السيدة خولة بنت الأزور أخت ضِرار بن الأزور. وكانت من ربات الفصاحة والشجاعة والفروسية، خرجت مع أخيها ضرار بن الأزور إلى الشام وأظهرت في الوقائع التي دارت رحاها بين العرب والروم بسالة فائقة، خلّد التاريخ اسمها في سجل الأبطال البواسل. ولقد أُسِرَ أخُوها ضرار في إحدى الوقعات فحزنت لأسره حزناً شديداً وقالت: [الوافر].

أبـعـد أخـي تـلـذ الـغـمـض عـيـنـي
فـكـيـف يـنـام مـقـروح الـجـفـون
سـأبـكـي مـا حـيـيـت عـلـى شـقـيـق
أعـز عـلـي مـن عـيـنـي الـيـمـيـن
فـلـو أنـي لـحـقـت بـه قـتـيـلاً
لـهـان عـلـيّ إذ هـو غـيـر هـوّن

وكنتُ إلى السلو أرى طريقاً
وأعلق منه بالحبل المتين[١]

ومما حدّث به الواقدي قال: لما أُسر ضرار بن الأزور في وقعة أجنادين، سار خالد بن الوليد في طليعة من جنده لاستنقاذه فبينا هو في الطريق مَرَّ به فارس معتقل رمحه، لا يبين منه إلا الحَدق وهو يقذف بنفسه لا يلوى على ما وراءه، فلما نظر خالد قال: «ليت شِعري من هذا الفارس؟ وايم الله إنه لفارس» ثم اتبعه خالد والناس من ورائه حتى أدرك جند الروم فحمل عليهم وأمعن بين صفوفهم وصاح بين جوانبهم حتى زعزع كتائبهم وحطّم مواكبهم. فلم تكن غير جولة جائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء وقد قتل رجالاً وجندل أبطالاً. ثم عرّض نفسه للموت ثانية فاخترق صفوف العدو غير مكترث بهم ولا خائف، وعطف على الروم فقلق عليه المسلمون وقال رافع بن عميرة: ليس هذا الفارس إلا خالد بن الوليد ثم أشرف خالد عليهم فقال رافع: من الفارس الذي تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته؟ فقال خالد: والله إنني أشد إنكاراً منكم له ولقد أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله، فقال رافع: أيها الأمير إنه منغمس في عسكر الروم يطعن يميناً وشمالاً. فقال خالد: معاشر المسلمين احملوا

(١) أعلام النساء (١/ ٣٧٥).

بأجمعكم وساعدوا المحامي عن دين الله. فأطلقوا الأعنة والتصق بعضهم ببعض وخالد أمامهم ونظر إلى الفارس فوجده كأنه شعلة من نار والخيل في إثره، وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل فحمل خالد ومن معه. ووصل الفارس المذكور إلى جيش المسلمين فتأملوه ورأوه وقد تخضب بالدماء فصاح به خالد والمسلمون أن يكشف عن نفسه واسمه فأعرض عنهم ولم يرد عليهم جواباً، فلما بعد عن خالد سار إليه بنفسه وقال له: ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بفعلك من أنت؟ فلما ألح خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث وقال: إنني يا أمير لم أُعرض عنك إلا حياءً منك لأنك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا خولة بنت الأزور، وإني كنت مع بنات العرب وقد أتاني الساعي بأن ضراراً أسيرٌ، فركبت وفعلت ما فعلت قال خالد: نحمل بأجمعنا ونرجو من الله أن نصل إلى أخيك فنفكه[١].

وفي هذه المعركة أخذت خولة تجول وتصول تبحث عن أخيها، وقد استمرت في القتال تسأل الناس عن أخيها وتقول: «يا ابن أمي ليت شعري، في أي بيداء طرحوك؟ أم بأي سنان طعنوك أم بالحسام قتلوك يا أخي؟ أختك لك الفداء. لو أني أراك أنقذتك من أيدي الأعداء، ليت شعري أترى أني أراك

(١) فتوح الشام للواقدي (١/ ٢٨ ـ ٢٩).

بعدها أبداً فقد تركت يا ابن أمي في قلب أختك جمرة لا يخمد لهيبها، ليت شعري لحقت بأبيك المقتول بين يدي رسول الله ﷺ فعليك مني السلام إلى يوم اللقاء»[١].

فبكى خالد من قولها، وبكى الناس ثم استمروا في القتال حتى انتصروا وعرفوا خبر أخيها واستنقذوه من بين أيدي الأعداء. أي شجاعة وأي فداء تمثل لنا في ذلك الموقف لتلك الفارسة الملثمة والأخت المحبة الوفية؟ لقد بذلت نفسها فداءاً لأخيها المقاتل الشجاع وأظهرت من الشجاعة ما لا يقدر عليه الكثير من الرجال. فليت شعري أين نساء بل رجال المسلمين اليوم من تلك الشجاعة؟؟؟

ولم يُسجل لنا التاريخ للسيدة خولة ذلك الموقف فحسب، بل عبّر لنا خلال سطوره عن موقفها في موقعة صحورا من أعمال الشام، وفي تلك الوقعة أسرت النسوة فجمعت خولة النساء وقامت فيهن خطيبة، وكانت هي من ضمن المأسورات فقالت: يا بنات حمير وبقيّة تُبَع أترضين لأنفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيداً لأهل الروم؟ فأين شجاعتكن وبراعتكن التي تتحدث بها عنكن أحياء العرب فقالت لها عفراء بنت غفار الحميرية: صدقت والله يا بنت الأزور ونحن من الشجاعة كما

(١) فتوح الشام للواقدي (١/ ٢٨ ـ ٢٩)، أعلام النساء (١/ ٣٧٧).

ذكرت غير أن السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت وإنما داهمنا العدو على حين غفلة ونحن بدون سلاح، فقالت خولة: يا بنات التتابعة خذوا أعمدة الخيام ونحمل بها على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم، فاستجابوا لها وقالت عفراء بنت غفار الحميرية: «والله ما دعوتِ إلى ما هو أحب إلينا مما ذكرت» ثم تناولت كل واحدة عموداً من عُمد الخيام وصِحن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقها عموداً وتتابع النساء وراءها فقالت لهن خولة: «لا ينفك بعضكن عن بعض وكُنّ كالحلقة الدائرة لا تتفرقن فتُمْلَكْن فيقع بكن التشتيت واحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهم» وهجمت خولة وهجم النساء وراءها وقاتلت بهن قِتال المستميت حتى استنقذتهن من أيدي الروم وخرجت تقول: [الكامل].

نحن بنات تُبعَ وحِمْير
وضربنا في القوم ليس يُنكر
لأننا في الحرب نارٌ تسعر
اليوم تسقون العذاب الأكبر[1]

تأملي أختاه هل رأيت قائداً حريًا مثل هذه القائدة الشجاعة الحكيمة؟ وأي شجاعة تلك التي قاتل بها تلك النسوة؟ وأي قوة

---

(١) فتوح الشام للواقدي (١/ ١٢٨) وديوان الخنساء أعلام النساء (١/ ٣٨٠).

دافعن بها عن أنفسهن حتى لا يكن ثغرة يُنال الإسلام من خلالها؟ فهؤلاء النساء يا أختاه هنّ المسلمات الخالدات اللاتي عز الدهر أن يجود بمثلهن واللاتي سطر لهن التاريخ صفحات ناصعة، فأي الصفحات نصوغ نحن يا أختاه؟؟؟

أم الصهباء معاذة بنت عبد الله

عابدة... صابرة... عالمة

ومن النساء اللاتي سطر لهن التاريخ سيرة عطرة تفوح منها كل أنواع الكمال والعبادة: السيدة معاذة العدوية. وكانت تلميذة للسيدة عائشة رضي الله عنها فبوركت بصحبتها لأم المؤمنين.

ولقد كانت رحمها الله زاهدة عابدة اتخذت من الدنيا مزرعة لتصل بها إلى الدار الآخرة وقد تزودت من الحسنات والخيرات. ومما جاء عنها:

كانت رحمها الله إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه. فما تنام حتى تمسي، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها، فلا تنام حتى تصبح وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم[(١)].

وكانت رحمها الله تحيي الليل صلاةً، فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول: «يا نفس النوم أمامك لو قدمت لطالت رقدتك في القبور على حسرة أو سرور» وكانت تقول:

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٢).

«عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور»[(١)].

تأملي يا أختاه تلك المرأة التي تغالب شهوة النوم حتى تتمتع بلذة مناجاة الله عز وجل، فتذوق حلاوة المناجاة والأنس بالليل في وقت لا تتذكر المؤمنة فيه إلا ربها الذي وفقها وأقامها ناصبة قدميها بين يديه.

وكما كانت من ربّات الزهد والعبادة، فقد كانت من المؤمنات الصابرات ومن المواقف التي سجلها لها التاريخ في الصبر موقفها حين استشهد زوجها صلة بن أشيم وابنها الصهباء. عن ثابت البناني: أن صلة بن أَشْيم كان في غزاة له ومعه ابن له: فقال له: «أي بُني تقدم فقاتل حتى أحتسبك فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم أبوه فقُتل. فاجتمعت النساء فقامت امرأته مُعاذة العدوية فقالت للنساء: مرحباً إن كنتن جئتن لتهنئتي، مرحباً بكن وإن كنتن لغير ذلك فارجعن[(٢)].

وهكذا سجل التاريخ لهذه المرأة الصبور المؤمنة صبرها على فقدان ولدها وزوجها في سبيل الله فهي لم تجزع ولم تحزن بل فرحت لأنها على يقين أن الذين يُقتلون في سبيل الله أحياء شهداء.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ

(١) المصدر السابق.

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٢٠) مواقف إيمانية أحمد فريد ص ٣٢٢.

بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠].

وقد كانت السيدة مُعاذة من الصابرات المحتسبات، وكانت وفية لزوجها رحمه الله، فيروى أنها لم تتوسد فراشاً حتى ماتت وكانت تقول: «والله ما أحب البقاء إلا لأتقرب إلى ربي بالوسائل لعله يجمع بيني وبين أبو الصهباء وولده في الجنة»[١].

وكانت عالمة مُتعلِّمة ومُعلِّمة، فقد صحبت السيدة عائشة وروت عنها وعن هشام بن عامر وأم عمرو بنت عبد الله بن الزبير وروى عنها أبو قلابة وقتادة ويزيد الرشك وأيوب وعاصم الأحول وسليمان بن عبد الله البصري. وقال يحيى بن معين: معاذة العدوية ثقة حجة، وذكرها ابن حبان في الثقات[٢]. وكان تعظ الناس وتعلمهم فيروى عن بنت لها كانت قد أرضعتها: يا بنية كوني من لقاء الله تعالى على حذر ورجاء.. فإني رأيت الراجي محفوفاً بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه، ورأيت الخائف له مؤملاً للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم بكت حتى غلبها البكاء.

رحمك الله يا أم الصهباء تبكين مع كثرة طاعاتك وفضائلك وتجمد عيوننا ونحن المقصرات؟ نسأل الله أن يرزقنا قلوباً خاشعة وعيوناً دامعة. ولقد عاشت السيدة معاذة على طاعة الله فكانت ميتتها على ما يحب الله وها هو التاريخ يُسجل لنا ميتتها.

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٠).

(٢) أعلام النساء (٥/ ٦١٢).

عن روح بن سلمة الوراق قال: سمعت عُفَيرة العابدة تقول: بلغني أن مُعاذة العدوية لما احتضرها الموت بكت ثم ضحكت فقيل لها: مما بكيت ثم ضحكت، فممّ البكاء وممّ الضحك؟ قالت: أما البكاء الذي رأيتم فإني ذكرتُ مُفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك، وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكي فإني نظرت إلى أبي الصهباء قد أقبل في صحن الدار عليه حُلَّتان خضراوان وهو في نفر والله ما رأيت لهم في الدنيا شَبَهاً فضحكت إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضاً قال: فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة[(١)].

رحمك الله يا سيدتي مُعاذة تخافين وتبكين لفراق الصيام والصلاة والذكر، وهناك من مسلمات اليوم من تفرح بتركهم ومن المسلمات اليوم من تؤدي العبادات كارهة لا تشعر لها بلذة. وما ذلك إلا لقسوة قلوبنا التي لم نوطنها على عبادة ربها حتى تجد اللذة والأنس في ذكره وعبادته، وحتى تفرح بلقاء الله يوم تلقاه وحتى تكون أعمالنا عبادة خالصة لوجه الله، وليست عادات تعودنا عليها منذ الصغر فاللهم لا تحرمنا لذة العبادة ولذة الذكر وأفض علينا من رحمتك.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٠).

عَمْرة بنت عبد الرحمٰن

سيدة من سيدات التابعيات

ومن النساء اللاتي سطر لهن التاريخ صفحات ناصعة مدادها النور: السيدة عَمْرة وهي عمرة بنت عبد الرحمٰن بن سعد بن زرارة الأنصارية النجارية.

وهي سيدة جليلة من سيدات التابعيات عدَّها ابن أبي داود من سيدات التابعيات وهن: حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبد الرحمٰن وأم الدرداء الصغرى[1].

وهي مُحدثة فقيهة كانت في حجر عائشة أم المؤمنين فتربت على يدها ونهلت من علمها وحفظت عنها الكثير وروت عنها. كما أنها روت عن حمنة بنت جحش وأم سلمة وحبيبة بنت سهل ورافع بن خديج وغيرهم من المحدثين.

قال يحيى بن معين: عمرة بنت عبد الرحمٰن ثقة حجة، وقال العجلي: مدنية تابعية ثقة وذكرها ابن حبان في الثقات وذكر ابن المديني عمرة ففخم أمرها[2].

---

(١) أعلام النساء (١/ ٢٧٣).

(٢) أعلام النساء (٣/ ٣٥٦).

روى أيوب بن سويد عن يونس عن ابن شهاب عن القاسم بن محمد أنه قال لي: «يا غلام، أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه؟ قلت: بلى قال: عليك بعَمْرَة فإنها كانت في حِجْر عائشة، قال: فأتيتها فوجدتها بحراً لا يُنْزَف»[١].

وقد كانت ذات شأن عند الجميع فقد قال ابن حبان عنها: «كانت من أعلم الناس بحديث عائشة، وقال عمر بن عبد العزيز: ما يفي أحد أعلم بحديث عائشة من عمرة وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن حزم أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة ماضية أو حديث عمره فاكتبه فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله وقد روي لها الجماعة وتوفيت سنة ٩٨ هـ»[٢].

كانت هذه السطور القليلة هي التي سطرها لنا التاريخ عن السيدة عَمْرة، وقد نقلتها عن كتاب (أعلام النساء) ولكن ما يلفت الانتباه في ذلك إلى أن هذه السيدة الجليلة بلغت في العلم مبلغاً عظيماً جعل أهل العلم بالرجال والجرح والتعديل يشهدون بثقتها، وأنها أفضل من حفظ الحديث عن عائشة وإذا كانت السيدة عائشة قد نقلت إلى النساء الكثير من المسائل والأحاديث

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨).
(٢) أعلام النساء (٣/ ٣٥٦).

فهذا يدل على أن السيدة عَمْرة كانت خليفتها في تبليغ أحاديث المصطفى ﷺ وحَمْل هذه الأمانة من بعدها.

فأين نساء المسلمين اليوم من طلب العلم والحديث النبوي؟ لقد بارك الله للصحابيات والتابعيات حين حَرِصْن على الأحاديث والسنة المطهرة، فقد كنّ عاملات بها راويات لها يعلمنها لمن يجهلها من النساء وتنقلها حتى تنال الفضل والأجر. فإن خلفاء رسول الله ﷺ هم العلماء والعالمات العاملون بما جاء به الرسول ﷺ والمعلمات الناس الخير. فهل لك يا أختاه من الاشتراك في هذا الفضل بأن تحفظي ولو الأحاديث القليلة [الأربعون النووية] مثلا وتعلمينها للمسلمات اللاتي قد لا يستطعن القراءة والكتابة حتى يصل نور سنة المصطفى إلى بيوت المسلمات فتشع نوراً وتُخرج علماء؟ فالأم المسلمة هي التي تخرج العلماء وقد ورد عبر صفحات التاريخ العديد من الأمهات اللاتي صنعن علماء[١].

فكوني مثل السيدة عمرة حاملة للعلم ومعلمة له ومعلِّمة صغارك كيف يحملون سنة المصطفى ﷺ، لتُكتبي في صفحات التاريخ مع الأمهات الخالدات والعالمات العاملات.

(١) إن أردتِ المزيد فعليك برسالتي (نساء صنعن علماء).

زينب بنت جرير

زوجة صالحة ـ في بيت شريح القاضي

من المواقف التي سطرّها لنا التاريخ عن المرأة المسلمة والذي جعل المرأة تدخل من باب جديد من أبواب التاريخ. موقف زوجة القاضي شريح السيدة زينب بنت جرير. تلك المرأة التي ضربت أروع الأمثلة للمرأة المسلمة كزوجة ولندع زوجها يتحدث عنها.

قال القاضي شريح: فلو رأيتني يا شعبيّ ـ وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أُدخلت عليّ؟ فقلت إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلي ركعتين فيسأل الله من خيرها ويعوذ به من شرها قائلاً: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه (أي طبعتها عليه)، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه». فصليتُ وسلَّمت فإذا هي من خلفي تصلي بصلاتي، فلما خلا البيت ودنوت منها ومددت يدي إلى ناحيتها قالت: «على رسلك يا أبا أمية، كما أنت» ثم قالت: «الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله، إني امرأة غريبة لا عِلْم لي بأخلاقك فبيِّن لي ما تحب فآتيه وما تكره فأبتعد عنه وقالت: إنه

قد كان لك من قومك مَنْكَحْ (مجال للزواج) وفي قومي مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمراً كان. وقد مَلَكْت فاصنع ما أمرك الله به: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك».

قال شريح: فأحوجتني والله ـ يا شعبيّ ـ إلى الخطبة في ذلك الموضع فقلت: الحمد لله أحمده وأستعين وأصلي على النبي وآله، وبعد فقد قلت كلاماً إن تثبتي عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا أو أكره كذا ونحن سواء فلا تفرقي، وما رأيتِ من حسنة فانشريها أو سيئة فاستريها قالت: وكيف محبتك لزيارة أهلي: قال شريح: ما أُحب أن يملّني أصهاري. قالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل بيتك آذن له ومن تكره أكرهه؟

قال شريح: بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء. قال: شريح فبتُ ـ يا شعبة ـ بأنعم ليلة ومكثت معي عشرين حولاً لا أرى إلا ما أُحب[1].

إن زوجها هو جنتها أو نارها فأرادت أن تجعله سبيلاً للجنة فتعرف حقه وتؤديه. فأين هذه من النساء اللاتي يؤذين أزواجهن يعصفن بالمودة التي تجمع بين قلوبهن وقلوب أزواجهن بفعل ما

(١) المرأة في التصور الإسلامي، عبد المتعال الجبري.

لا يليق كالخروج بغير إذن أو السماح بدخول منزله لمن يكره؟ وكل هذه الأمور التي تعتبرها بعض النساء صغيرة ولكنها في الحقيقة كبيرة. فالإسلام يا أختاه الذي نؤمن به كلَّف المرأة بأمور تجاه زوجها، إن هي أدتها فازت بالحياة الطيبة في الدنيا والسعادة في الآخرة. ومن هذه الأمور باختصار: «السمع والطاعة ـ الاهتمام بالنظافة الخاصة ـ ونظافة المنزل والأولاد ـ أن لا تفرح في مواطن حزنه ولا تحزن في مواطن فرحه وأن تستر عيبه وتنشر فضله ولا ترى لها هدفاً إلا سعادته. لأن في سعادته رضا الله عز وجل ولأن في سعادته استقرار للبيت المسلم ثم المجتمع المسلم وهذا ما تطمع إليه النفوس أن يعم الخير والأمن على كل بيوت المسلمين والمسلمات».

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

زوجة عاصم بن سيدنا عمر بن الخطاب

جدة عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد
التقية الأمينة

لقد اشتهرت عبر صفحات التاريخ لنساء لم تُعرف أسماؤهن وإن بقى ذكرهن، فقد سطّر لهن التاريخ موقفاً واحداً جعل ذكرهن يطير عبر الآفاق فيعرف قصصهن هذا وذاك. ومن هؤلاء النساء أشهر بائعة لبن في التاريخ هي: زوجة عاصم ولد سيدنا عمر بن الخطاب(١) وجدة سيدنا عمر بن عبد العزيز(٢) وقد جاء في خبرها.

عن عبيد الله بن زيد بن أسلم عِن أبيه عن جده أسلم قال: بينا أنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يَعسُّ(٣) المدينة

(١) عاصم بن عمر بن الخطاب أحد أبناء سيدنا عمر وأمه تُسمى جميلة، وقد زوجه أبوه من بائعة اللبن التي أنجبت له فتاة تُسمى أم عاصم وكانت هذه الفتاة أم الخليفة عمر بن عبد العزيز.

(٢) عمر بن عبد العزيز بن مروان من بني أمية له الكثير من الفضائل، وعده الثوري خامس الخلفاء الراشدين وقدم عمر الخير في خلافته وتوفي سنة ١٠١ وهو ابن تسع وثلاثين سنة.

(٣) عَسَّ من باب رد: طاف بالليل وعسساً أيضاً وهو نقض الليل عن أهل الريبة.

إذ أعيا واتكأ على جانب جدار في جوف الليل وإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذُقيه بالماء فقالت لها: يا أمتاه أما علمت ما كان من عَزْمِة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته يا بنية، قالت: إنه أمر منادياً فنادى: لا يُشَاب[1] اللبن بالماء فقالت لها: يا ابنتاه قومي إلى اللبن فَامْذُقيه بالماء فإنك في موضع لا يراك عمر ولا مُنادي عمر، فقالت الصبية: والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء. وعمر يسمع كل ذلك فقال: يا أسلم عَلِّم الباب واعرف الموضع ثم مضى في عَسَسه فلما أصبح قال: يا أسلم، امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها وهل لهم من بَعْل؟ فأتيت الموضع فإذا أيِّمٌ لا بعل لها وإذا تيك أمها ليس لهم رجل. فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته فدعا عمر ولده فجمعهم فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه، ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية. فقال عبد الله: لي زوجة وقال عبد الرحمٰن: لي زوجة وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني. فبعث إلى الجارية فزوّجها من عاصم فولدت بنتاً وولدت البنت ابنة وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز[2].

---

(١) يُشاب: يُخلط.

(٢) إلى هنا الخبر في أخبار عمر بن عبد العزيز وما يلي منه تعقيب المصنف.

كذا قال. والصحيح أن أم عاصم: بنت عاصم لا بنت ابنته[١].

وهكذا سطر لنا التاريخ ذلك الخبر عن تلك المسلمة التقية الأمينة التي تراقب الله وتطيع أولي الأمر فيما فيه طاعة لله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وهكذا كانت مؤمنة تقية تخاف الله قبل كل شيء ولذلك كرمها الله بزواجها من نسل طيب، وهو نسل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ. كما كرمها أن أصبحت جدة لخير خليفة عرفه الإسلام بعد الخلفاء الراشدين قال عنه أحمد بن حنبل: يُروى في الحديث أن الله تبارك وتعالى يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز ونظرنا في المائة الثانية فإذا هو الشافعي[٢]. وهكذا كانت جدة لمن جدد شباب الإسلام. فهل تتقي الله يا أختاه وتراقبيه في كل أمورنا وفي بيعنا وفي شرائنا وفي كل أحوالنا حتى يجزينا الثواب الجزيل ويُعلي شأننا عبر التاريخ؟ فلعل الله أن يخرج من أصلابنا ـ إذا اتقيناه ـ من يُجدد شباب الإسلام في ذلك العصر الذي تموج فيه الفتن. فالتقوى ومراقبة

(١) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء ص ٥٣٨، صفة الصفوة (٢/ ١٣٧).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٨٠)

الله ترفع شأن العبد عند الله والأمانة صفة لا تتوافر إلا في الإنسانة التقية المؤمنة فكوني يا أختاه أمينة على ما استرعاك الله وتذكري قول الرسول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[١] وكوني أمينة مع زوجك، أمينة في بيعك وشرائك، أمينة مع ربك تتقيه بفعل الأعمال الطيبة وترك الخبائث، لعل الله أن يُعز الإسلام على يديك أو على يد أحد أحفادك كما أعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وجدد شبابه بعمر بن عبد العزيز الذي كان من نسل تلك المرأة الأمينة التقية أشهر بائعة لبن في التاريخ.

(١) البخاري.

عابدة من أهل الشام

حفيدة.... نسيبة ـ وأم سليم

ونحن عبر صفحات التاريخ نجد أنفسنا أمام عابدة مُجاهدة لم يذكر التاريخ اسمها، ولكنه خلّد عبر صفحاته ذكرها وفضلها وقد روى قصتها ابن الجوزي في كتابه (صفة الصفوة) قال: بلغنا عن أبي قُدامة الشاميّ قال: كنت أميراً على الجيش في بعض الغزوات فدخلت بعض البلدان فدعوت الناس إلى الغزو ورغّبتهم في الثواب وذكرتُ فضل الشهادة وما لأهلها. ثم تفرق الناس وركبتُ فرسي وسرت إلى منزلي فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تنادي: يا أبا قُدامة، فقلت هذه مكيدة من الشيطان فمضيت ولم أُرحِب، فقالت: ما هكذا كان الصالحون، فوقفت فجاءت ودفعت إليّ رُقْعة وخِرْقة مشدودة وانصرفت باكية. فنظرت في الرّقعة فإذا فيها مكتوب: إنك دعوتنا إلى الجهاد ورغّبتنا في الثواب ولا قُدرة لي على ذلك فقطعت أحسن ما فِي وهما صغيرتايَ وأنفذتهما إليك لتجعلهما قَيدَ فرسِك لعل الله يرى شعري قيد فرسِك في سبيله فيغفر لي.

.. فلما كانت صبيحة القتال، فإذا بغلام بين يَدي الصفوف يُقاتل فتقدمت إليه وقلت: يا فتى أنت غلامٌ غِرّ راجل ولا آمنُ أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا فقال: أتأمرني بالرّجوع؟ وقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٥ ـ ١٦].

فحملته على هَجين كان معي فقال: يا أبا قُدامة أقرضني ثلاثة أسهم فقلت: أهذا وقتُ قرضٍ؟ فما زال يلُّحُ عليّ حتى قلتُ بشرط: إن مَنّ الله عليك بالشهادة أكون في شفاعتك، قال: نعم، فأعطيته ثلاثة أسهم فوضع سهماً في قوسه وقال: السلام عليك يا أبا قُدامة ورمى به فقتل روميّاً، ثم رمى بالآخر وقال: السلام عليك يا أبا قُدامة فقتل روميّاً، ثم رمى بالآخر وقال: السلام عليك سلام مُودِّع فجاءه سهم فوقع بين عينيه فوضع رأسه على قَرَبوس[١] سرجه فتقدمت إليه وقلت: لا تنسَها فقال: نعم ولكن لي إليك حاجة إذا دخلت المدينة فأتِ والدتي وسلّم خَرجي إليها وأخبرها فهي التي أعطتك شعرها لتقيّد به فرسك، وسلّم عليها فإنها العام الأول أصيبت بوالدي وفي هذا العام بي ثم مات.

(١) القَرَبوس: بفتحتين السرج ولا يخفف إلا في الشعر.

فحفرت له ودفنته. فلما هممنا بالانصراف عن قبره قَذَفَتْه الأرض فأَلْقَتْه على ظهرها فقال أصحابي: إنه غلام غِرٌّ ولعله خرج بغير إذن أمّه. فقلت: إن الأرض لتقبلُ من هو شرٌّ من هذا، فقمت وصلَّيت ركعتين ودعوت الله عز وجل، فسمعت صوتاً يقول: «يا أبا قدامة اترك ولي الله» فما برحت حتى نزلت عليه طيور فأكلته. فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته فلما قرعت الباب خرجت أخته إلي فلما رأتني عادت وقالت: يا أماه هذا أبو قُدامة ليس معه أخي، فقد أصبنا في العام الأول بأبي وفي هذا العام بأخي. فخرجت أمه إليّ فقالت: أمعزِّياً أم مهنئاً؟ فقلت ما معنى هذا؟ فقالت. إن كان مات فعزِّني وإن كان استشهد فهنئني فقلت: لا بل مات شهيداً فقالت: له علامة فهل رأيتها، قلت: نعم لم تقبله الأرض ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها فقالت: الحمد لله. فسلّمت إليها الخرْج ففتحته وأخرجت منه مِسْحاً وغُلاً من حديد وقالت: إنه كان إذا جنّ الليل لبس هذا المِسْح وغَلّ نفسه بهذا الغُلّ وناجى مولاه وقال في مناجاته: احشرني من حواصل الطيور فقد استجاب الله دعاءه[١].

تأملي أختاه بعين قلبك تلك السطور التي سُطرت عن تلك المرأة المسلمة والأم الخالدة المجاهدة التي بكت لما سمعت

(١) صفة الصفوة (٤/ ١٦٩ ـ ١٧٠).

داعي الجهاد وهي لا تستطيع أن تخرج، فتبرعت بشعرها لجاماً لفرس في سبيل الله وحتى يكون الجهاد بالمال والنفس. أخرجت فلذة كبدها هدية لله شهيداً مجاهداً. فأي جهاد ذلك وأين نحن منه وماذا قدمنا لديننا وبماذا ضحينا من أجله؟ أسئلة في حاجة إلى الإجابة وليت المسلمة المجاهدة كانت مُجاهدة فحسب، بل رأينا في السطور التي سُطِرت عن ابنها أنها كانت من الأمهات الصالحات اللاتي ربيْن أولادهن على قيام الليل وعلى العبادة والشوق إلى الجنة والموت في سبيل الله وحفظ القرآن وفهمه. فقد لقنت صغيرها أن من يهرب من أمام الأعداء فهو فار إلى النار. فكانت كلمات غلامها كلمات إيمانية تدل على إيمان قوي غرسته تلك المرأة في قلب غلامها الصغير لكي يتربى على ذلك ويموت على ذلك الهدى والنور.

فهل نربي يا أختاه أولادنا على الشجاعة والقوة ليكونوا من أولياء الله الصالحين الذين يكرمهم الله في الدنيا باستجابة الدعاء والقرب والكرامات ثم يوم القيامة يجعل لهم الأمن والسعادة؟ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

فهل لنا يا أختاه في هذه المجاهدة والأُم الصالحة التي ذكرتني بالتاريخ الماضي ذكرتني بنسيبة رضي الله عنه وهي تقول

لغلامها: «يا بني قم فرد عن رسول الله» وذكرتني بأم سُليم وهي تُربي صغيرها وتقول له: «قل لا إلٰه إلا الله» فهي يا أختاه خفيدة هؤلاء الصالحات ولذلك سارت على طريقتهن لتنال ما نلن من الثواب والجزاء. ونحن يا أختاه ألسنا حفيدات هؤلاء فهل لنا فيهن من أسوة حسنة فنسير على طريقتهن نهتدي بهديهن في الجهاد وفي التربية وفي كل شيء حتى ننال ما قد نلن من الكرامة والثواب، وحتى يجمعنا الله بهن في جنة عامرة بالصالحات اللاتي سُطر لهن عبر صفحات التاريخ صفحات خالدة كتبت بمداد من نور ينير قلوب المسلمات إلى معالم الطريق..... إلى الجنة.

«اللَّهم لا تحرمنا رؤيتهن في دار كرامتك يا بر يا رحيم».

المرأة القرآنية

حفصة بنت سيرين

ونُقلّب صفحات التاريخ فيُطالعنا وجهٌ مشرقٌ منير بطاعة الله وفضله، سيدة جليلة من سيدات التابعيات اللاتي سطر لهن التاريخ صفحات مضيئة مشرقة وهي: حفصة بنت سيرين. اشتهرت السيدة حفصة بالعبادة والفقه وقراءة القرآن والحديث. قال إياس بن معاوية: ما أدركت أحداً أُفضله على حفصة بنت سيرين فقيل له الحسن وابن سيرين فقال: أما أنا فلا أفضل عليها أحداً. وقد عدّها ابن أبي داود من سيدات التابعيات وعدَّ معها عمرة بنت عبد الرحمٰن ويليها أم الدرداء الصغرى[1].

عن هشام بن حسان قال: قرأتْ القرآن وهي ابنة اثنتي عشرة سنة وماتت وهي ابنة تسعين[2].

أي أنها عاشت في رحاب كتاب الله وفي ظلاله مدة تزيد على خمس وسبعون سنة. فأي فضل نالته في ظل كتاب الله وفي ظل القيام والصلاة وحمل كتاب الله؟

---

(١) أعلام النساء (١/ ٢٧٣).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٢١).

وكما اشتهرت بالتمكن من القرآن وحفظه فقد كانت سيدة العابدات. كانت تدخل في مسجدها فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ثم لا تزال فيه حتى يرتفع النهار وتركع ثم تخرج، فيكون عند ذلك وضوؤَها ونومها حتى إذا حضرت الصلاة عادت إلى مسجدها إلى مثلها.

وعن مهدي بن ميمون قال: مكثت حفصة في مُصلاّها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة أو لقِائلة[١].

أي صبر على الطاعة رزقك الله يا سيدة حفصة وأي مداومة على العمل الصالح تلك التي وفقك الله؟ فلعلك يا أختاه تقضي مع ملامحها عبر التاريخ لتتعلمي أهمية المواظبة على طاعة الله. فإن المداومة والجهاد يفتح الله بهما على عباده من الخير والفضل ما لا يعلمه إلا الله. فكم من المسلمات حفظن كتاب الله بفضل المداومة على الحفظ والمراجعة والتلاوة وكم من المسلمات رزقن لذة العبادة بفضل المداومة على قيام الليل والصيام وصدق الله، فالله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فمن يرزقها الله المداومة على العمل الصالح فقد رزقها الله الخير الكثير والهداية القريبة.

وكانت السيدة حفصة عالمة بكتاب الله عاملة به فقد روى عن

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢١).

هشام بن حسان: أن ابن سيرين كان إذا أشكل عليه شيء من القراءة قال: «اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ»[١].

وعن عاصم الأحول قال: كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقَّبت به فنقول لها: رحمك الله. قال الله: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠] وهو الجلباب قال فنقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ فنقول: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠] فنقول: هو إثبات الجلباب[٢].

فليسمع متبرجات اليوم تلك الكلمات لعل الله أن يهدي قلوبهن التي يعلم الله بمدى حبها لشرع الله، ولتسمعي أختي المسلمة تلك المرأة العالمة بكتاب الله والعاملة به فليس هذا الفهم الذي رُزِقته للقرآن إلا بفضل كثرة صحبتها لكتاب الله. فالقرآن يُصاحب من يُصاحبه ويحب من يحبه، ويُعطي الله فضله لمن يسعى لينال ذلك الفضل. فهل لنا من قدوة في تلك المرأة القرآنية التي عاشت في ظل القرآن وماتت في رحابه؟

ولقد كانت عالمة بسنة رسول الله ﷺ فلم يكن علمها قاصراً على القرآن وروت عن أخيها يحيى وأنس بن مالك وأم عطية

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢١).
(٢) صفة الصفوة (٤/ ٢٠).

الأنصارية والرباب وأم الرائح وأبي العالية وأبي ذبيان خليفة بن كعب والربيع بن زياد وخيرة أم الحسن البصري. وقيل: روت عن سلمان بن عامر والضبي وجماعة، وروى عنها محمد بن سيرين وقتادة وعاصم الأحول وأيوب وخالد الحذاء وابن عون، وقال يحيى بن معين: ثقة حجة وقال أحمد بن عبد الله: هي ثقة وذكرها ابن حبان في الثقات[١].

ومن فضائل السيدة حفصة المنثورة عبر صفحات التاريخ أنها صبرت على فراق ولد لها ـ الهذيل ـ واحتسبته عند الله وكان ولدها بَراً بها وكانت شديدة التعلق به.

قال هشام بن حسان: كان الهُذَيل بن حفصة يجمع الحطب في الصيف فَيقْشُرُه ويأخذ القصب فيفْلِقه، قالت حفصة: وكنت أجد قرّة إذا جاء الشتاء جاء بالكانون فيضعه خلفي وأنا في مُصلاي ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشر وذاك القصب المفلّق وقوداً لا يؤذي دخانه ويُدفئني فمكثت بذلك ما شاء الله[٢].

وقالت حفصة: فلما مات رزقني الله من الصبر ما شاء أن يرزق، غير أني كنت أجد غصّة لا تذهب قالت: فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذ أتيت على هذه الآية ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ

(١) أعلام النساء (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤).
(٢) صفة الصفوة (٤/ ٢١).

ثَمَنًا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل: ٩٥-٩٦]. قالت: فأعدتها فأذهب الله ما كنت أجد.

تأملي يا أختاه تلك المرأة القرآنية تتلو كتاب الله فتنفعل بآياته وتعيش معها فيشفي الله بالقرآن قلبها. قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقد كان لهذه المرأة القرآنية الشأن الكبير عند الله كما كان لها عند علماء الله فمما جاء في ذلك:

عن هشام قال: حدثتني أم سليم بنت سيرين قالت: ربما نُوّر لحفصة بنت سيرين بيتها. قال هشام: «كانت حفصة بنت سيرين تُسْرج بسراجها من الليل ثم تقوم في مُصلاّها فربما طُفيء السراجُ فيُضيء لها البيت حتى تصبح»[١].

كيف لا يُضيء البيت وهو يشع بالنور في كل لحظة، وهو ينشر الخير في كل حين؟ كيف لا يُضيء بيت يُتلى فيه كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار؟ فهل تعملين يا أختاه على أن يُضيء بيتك بغير مصباح حتى يكون من البيوت التي تذكر في السماء ويشع نورها على أهل الأرض وأهل السماء؟.

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٢).

ابنة سعيد بن المسيب

اجلسْ أعلِّمُك عِلْمَ سعيد

وكما دخلت المرأة المسلمة التاريخ من باب الصبر والإيمان والجهاد، سطّر لنا التاريخ مواقف الكثير من المسلمات اللاتي دخلن من باب العلم فكن عالمات عاملات بلغت شهرتهن الآفاق. ومن هؤلاء: ابنة سعيد بن المسيب زوجة أبي وداعة ولهذا الزواج قصة سطرها لنا التاريخ. جاء في ترجمة أبيها سعيد بن المسيب:

«أن عبد الملك بن مَرْوان خطب ابنته لولده الوليد حين ولاّه العهد، فأبى أن يزوجها. قال أبو وداعة: كنت أُجَالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً فلما جئت قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها. قال: فهلاّ أخبرتنا فشهدناها؟ قال: ثم أردت أن أقوم فقال: «هل أحدثت امرأة غيرها؟ فقلت: «يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟» فقال: «إن أنا فعلت تفعل؟» قلت: «نعم» فحمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين ثم قال. . . ثم

أحضرها أبوها وقال لي: «رأيتك رجلاً عزباً قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك» ثم دفعها في الباب وردّ الباب فسقطت المرأة من الحياء فصعدتُ إلى السطح وناديت الجيران فجاءوني وقالوا ما شأنك: قلت زوجني سعيد بن المسيب ابنته، وقد جاء بها على غفلة وها هي في الدار. فنزلوا إليها وبلغ أمي فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أُصلِحها ثلاثة أيام فأقمتُ ثلاثاً ثم دخلت بها.
وفي صبيحة الزواج أراد أبو وداعة أن يخرج فقالت له زوجته: إلى أين تريد؟ فقال: إلى مجلس لسعيد أتعلم العلم، فقالت: «اجلس أعلمك علم سعيد» فوجد عندها: من العلم الكثير وقال عنها: وجدتها أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج(١).

انظري يا أختاه لتلك المرأة لتستوضحي معالم شخصيتها من خلال هذا الموقف الذي سطره لنا التاريخ. فهي ابنة عالم من أفضل علماء عصره زهدت في الملك فرفضت خطبة ولي عهد المسلمين.

ثم تزوجت طالباً للعلم فقيراً، ولكنها عرفت أن السعادة ليست في المال بل هي في رضا الله عز وجل.

---

(١) بتصرف من «من أخلاق العلماء» لمحمد بن سليمان و(المرأة في التصور الإسلامي) عبد المتعال الجبري.

كما أنها ابنة بارة بوالدها مطيعة لا تعصيه في معروف.

وكيف تعصيه وقد تلقت العلم على يديه وشربت من نبع العلم الإسلامي الصافي، فكانت أيضاً عالمة عاملة تعلمت الزهد وطبقته بصورة رائعة جعلها تفضل الزواج على درهمين بطالب علم فقير في ماله ولكنه غني بعلمه وفضله وخلقه. وعندما نستوضح معالم شخصيتها أيضاً نجد أنها امرأة معلِّمة، أي أن علمها لم يكن قاصراً عليها بل نشرته لغيرها مما جعلها تعلِّم زوجها الذي قالت له: «اجلس أعلمك علم سعيد» وفي ذلك دليل على حبها للتعليم وأنها عالمة زاهدة. فأين نساء المسلمين اليوم من طلب العلم فهل نطلب علم القرآن أو السنة بل تتفنن الكثيرات في إعداد ألوان الطعام والمأكولات وتترك حفظ كتاب الله والتفقه في أمور دينها الذي أكرمه الله به فهل لنساء المسلمين اليوم فرصة للحاق بركب العلماء والعالمات المسلمات؟

وأذكرهن بقوله تعالى:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

حبيبة العدوية

راهبة الليل

لقد سجّل لنا التاريخ أسماء الكثيرات من النساء اللاتي بلغن في العبادة مكانة لا يصل إليها كثير من الرجال ومن هؤلاء: السيدة حبيبة العدوية.

قال عبد الله المكي: كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها فقالت: إلٰهي غارت النجوم ونامت العيون وغلّقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك. ثم تُقبل على صلاتها فإذا كان السحر قالت: اللَّهم وهذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري هل قبلت مِني ليلتي فأُهنَّى، أم رددتها عليّ فأُعَزَّى؟ فوعزتك لهذا دأبي ودأبك أبداً ما أبقيتني وعزتك لو انتهرتني ما بَرحت عن بابك ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك[1].

وهكذا كانت السيدة حبيبة تحيي الليل كله لخالقها وتسأله

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣١).

أن يتقبل منها. فأين أنتِ يا أختاه من قيام الليل ولذته وحلاوته؟ إن في الليل والخلو بالله عز وجل في الثلث الأخير من الليل صلاحاً لأمور الدين والدنيا والآخرة[١].

ورحم الله القائل [الرمل]:

إن لله عــبــاداً فُــطــنــا
طــلّــقــوا الــدنــيــا وكــانــوا سُــعَــدَا
نَــظَــروا فــيــهــا فــلــمــا وَجَــدُوا
أَنّــهــا لــيــســت لِــحَــيٍّ وَطَــنَــاً
جَــعَــلُــوهَــا لُــجَّــةً واتَّــخَــذُوا
صَــالِــحَ الأعــمــالِ فــيــهــا سُــفُــنَــاً

(١) لمزيد من المعلومات عودي إلى رسالتي (يا أُخَيَّة... الليل موعدنا).

أم الدرداء الصغرى

عابدة... فقيهة... عالمة... وفيّة

السيدة أم الدرداء الصغرى، واسمها هُجيمة بنت حيي الوصابية كانت زوجة لأبي الدرداء وقد توفي عنها وهي ذات حسن وجمال[1].

وقد سطر لنا التاريخ لهذه السيدة الكثير من الفضائل والمواقف. فقد كانت فقيهة عالمة، ووصلت في العلم أن قال عنها مكحول: «كانت أم الدرداء تجلس في صَلاَتها جِلسة الرجل وكانت فقيهة»[2] «وكانت تجلس في حِلَق القُرَّاء تعلِّم القرآن»[3].

وروى عن عون بن عبد الله قال: «جلسنا إلى أم الدرداء فقلنا لها أمللناكِ فقالت: «أمللتموني! لقد طلبت العبادة في كل شيء فما أصبت لنفسي شيئاً أشفى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم»[4] وفي رواية «فما وجدت شيئاً أشفى لصدري ولا

---

(١) أسد الغابة (٧/ ٢٨٥) تاريخ ابن عساكر (ص ٤٢٢).
(٢) التاريخ الصغير (١/ ١٩٣).
(٣) المصدر السابق.
(٤) الحدائق (٤٨) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٧٨).

أحرى أن أدرك به ما أريد من مُجالسة أهل الذكر»[١].

وكما كانت عالمة فقيهة عابدة، كانت امرأة مسلمة وفيّة فقد جاء عن جبير بن نفير عن أم الدرداء أنها قالت لأبي الدرداء: إنك خطبتني إلى أبويّ في الدنيا فأنكحوني وإني أخطبك إلى نفسك في الآخرة قال: فلا تنكحي بعدي. فخطبها معاوية فأخبرته بالذي كان ـ فقال: عليك بالصيام[٢]. وهكذا وَفتَ لزوجها بعد موته وما أجمل الوفاء وأندره في هذه الأيام، وقد أردت قبل التعليق على سيرة تلك المؤمنة أن أسوق بعض أقوالها وأخبارها لعلّ المسلمة المعاصرة تجد فيها ما ينفعها عن ابن زيتون قال: كتبت لي أم الدرداء في لوحي فيما تعلمني: «تعلموا الحِكمة صغاراً تعملوا بها كباراً»[٣].

وعن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء أنها قالت: «ولذكر الله أكبر وإن صليت فهو من ذكر الله وإن صُمت فهو من ذكر الله وكل خير تعمله فهو من ذكر الله وكلُ شيء تجتنيه فهو من ذكر الله وأفضل ذلك تسبيح الله عز وجل»[٤].

عن عثمان بن حيّان قال سمعت أم الدرداء تقول: إن

---

(١) تاريخ ابن عساكر (تراجم النساء) ص ٤٢٧ وتاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٧٨) تهذيب التهذيب (٢/ ٤٦٦).
(٣) تاريخ أبي زرعة (١/ ٣٣٤) وتاريخ ابن عساكر تراجم النساء ص ٤٢٨.
(٤) التهذيب (١/ ٣١٧) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء ص ٤٣١.

أحدكم يقول اللّهم ارزقني وقد عَلِمَ أن الله لا يُمطر عليه ديناراً ولا درهماً وبعضهم يَغْنى برزق من بعضٍ، فإذا أتى أحدكم شيئاً فليَقْبَل فإن كان غنياً عنه فليضعه في ذي حاجة من إخوانه وإن كان إليه محتاجاً فليستعن به على حاجته ولا يرد على الله تعالى رزقه الذي رزقه(١).

وعن عثمان بن حيّان قال: «أكلنا مع أم الدرداء طعاماً فأغفلنا الحمد لله، فقالت: يا بني لا تدعوا أن تأدموا طعامكم بذكر الله أكلاً وحمداً خيرٌ من أكلٍ وصمت»(٢).

وعن هزان قال: قالت لي أم الدرداء: يا هزان، ألا أحدثك ما يقول الميت إذا وضع على سريره؟ قال: قلت: بلى. قالت: فإنه ينادي يا أهلاه ويا جيراناه ويا حملة سريري، لا تغرَّنكم الدنيا كما غرتني ولا تلعبنَّ بكم كما تَلَعَّبت بي فإن أهلي لم يحملوا عني من وزري شيئاً ولو حاجّوني اليوم عند الجبار لحجّوني. ثم قالت أم الدرداء: الدنيا أسحر لقلب العبد من هاروت وماروت وما آثرها عبد قط إلا صَرَعَتْهُ(٣).

وهكذا يا أختاه كانت تلك المرأة المسلمة فاضلة كاملة تقول الحكمة وتلهج بذكر الله في كل أحوالها، وسطر لها التاريخ هذه

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٧٨).
(٢) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء ص ٤٣٣.
(٣) كتاب الزهد (١٦٥) وتاريخ ابن عساكر تراجم النساء ص ٤٣٤.

الكلمات لتكون زاداً للمسلمة في كل عصر وكل زمان فاغتنميها واعملي بها فازهدي في الدنيا وأكثري من ذكر الله واطلبي العلم واجتهدي في عبادة ربك حتى تكوني من النساء اللاتي ذكرهن التاريخ بكل خير وحتى تكوني بأمر الله مذكورة عند الله عز وجل بالخير والفضل.

زينب بنت علي بن أبي طالب

أخت الشهيدين الحسن والحسين

السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب الهاشمية، ولدت قبل وفاة جدها ﷺ بخمس سنين[1].

وقد تزوجت ابن عمها عبد الله جعفر بن أبي طالب فولدت له محمداً وعلياً وعباساً وأم كلثوم. وقد حدثت عن أمها فاطمة بنت محمد ﷺ وأسماء بنت عميس[2].

وهي امرأة جزلة كانت مع أخيها الحسين بن علي حين قُتل. وقد سجّل لنا التاريخ موقفها الرائع وثباتها في هذا اليوم، حين واجهت ـ بعد مقتل أخيها الحسين ـ عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان ومما سجله التاريخ لنا: «حُملت زينب إلى عبيد الله بن زياد وكانت أسن من حُمل إليه. فلما دُخِلَ برأس الحسين وصبيانه وأخواته على ابن زياد لبست زينب أرذل ثيابها وتنكرت وحف بها إماؤها. فلما دخلت جلست فقال

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٤٦٥)، نسب قريش (٤١).

(٢) تاريخ ابن عساكر (ص ١١٨) تراجم النساء.

عبيد الله بن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه. فقال: ذلك ثلاثاً. كل ذلك لا تكلمه فقال بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة. فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أُحدوثتكم فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وطهرنا تطهيراً، لا كما تقول أنت إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر. قال ابن زياد: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كُتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم متحاجون إليه وتخاصمون عنده. فغضب ابن زياد واستشاط فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير إنها امرأة وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها، إنها لا تؤاخذ بقول ولا تُلام على خطل. فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المَرَدَة من أهل بيتك. فبكت زينب وقالت: لعمري لقد قتلت كهلي وأبرت أهلي وقطعت فرعي واجتثثت أصلي فإن يشفك هذا فقد اشتفيت. فقال لها عبيد الله بن زياد: «هذه شجاعة قد لعمري كان أبوك شاعراً شجاعاً»[(١)].

وهكذا وقفت تلك المرأة المؤمنة بشجاعة أمام هذا الطاغية لا تخافه لأنها تعتمد على القوي العزيز وتتوكل عليه، ولأن خوفها من الله يعلو على كل خوف ثم يسجل لنا التاريخ لزينب موقفاً في الثبات وبلاغة القول وذلك حين حُملت إلى يزيد بن

(١) بلاغات النساء (٢٥) الإصابة (٤/ ٣٢١).

معاوية وقد التف حوله حاشيته ورجاله.

فعن فاطمة بنت علي بن أبي طالب قالت: لما أُجْلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رقّ لنا أول شيء وألطفنا، ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه ـ يعنيني ـ وكنتُ جارية وضيئة فأَرْعدت وظننتُ أن ذلك جائز لهم. وأخذت بثياب أختي زينب قالت: وكانت أختي زينب أكبر مني وأعقل وكانت تعلم أن ذلك لا يكون فقالت: كذبت والله ولُؤْمت ما ذلك لك ولا له. فغضب يزيد فقال: كذبتِ، والله إن ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلتُ قالت: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا قالت: فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك. فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وجدك وأبوك قال: كذبتِ يا عدوة الله قالت: أنت أمير تشتم ظالماً ويقهر بسلطانك قال: فوالله لكأنه استحيا فسكت(١).

وهكذا سجّل لنا التاريخ شجاعة نادرة وبلاغة عالية لأخت الشهيدين الحسن والحسين، ولما لا تكون شجاعة وقد شهدت يوم كربلاء وأخرجت رأسها من الخباء تنادي بأعلى صوتها

(١) بلاغات النساء لطيفور (٢٥) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء، تاريخ الطبري (٥/ ٤٦١).

بصوت عالٍ تقول [البسيط]:

ماذا تقولون إن قال النبيُّ لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مُفْتَقَدِي
منهم أسارى ومنهم ضُرِّجوا بِدَمِ
ما كان هذا جزائي أن نصحت لكم
أن تخلفوني بشرٍ في ذوي رحمي[(١)]

رحمك الله يا زينب لقد عبّرت بكلماتك عن مشاعر الحزن والعتاب ولكن في عِزة المؤمنة وفي شجاعة المسلمة الصادقة. فهل للمرأة المسلمة اليوم أن تكون شجاعة في منطقها ولا تخاف في الله لومة لائم وهل لنا في حفيدات رسول الله أسوة حسنة؟؟

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦١) نسب قريش لمصعب (٨٤).

أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب

أم الخليفة عمر بن عبد العزيز

ومن المسلمات اللاتي سجل التاريخ أسماءهنّ في سجل الأمهات الخالدات: السيدة أم عاصم حفيدة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وأم الخليفة عمر بن عبد العزيز. وقيل: اسمها ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب[(١)].

فهي ذات الأصل الطيب والنسب الأصيل في الإسلام وقد كانت أم عاصم وهي إحدى بنات سيدنا عاصم بن عمر بن الخطاب مسلمة تقية تزوجت من عبد العزيز بن مروان وكان لهذا الزواج المبارك قصة:

عن محمد بن سعد قال: قال ابن شوذب: «لما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج أم عمر بن عبد العزيز قال لقيِّمه: اجمع لي أربع مائة دينار من طيّب مالي فإني أريد أن أتزوج من أهل بيتٍ لهم صلاح، فتزوج أم عمر بن عبد العزيز»[(٢)].

---

(١) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء (ص ٥٣٣).

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٣٣١).

وقد كانت أم عاصم من المؤمنات العابدات اللاتي ربيّن أولادهن على البكاء من خشية الله وعلى الزهد في هذه الدنيا، وقد أكرمها الله وأخرج من صلبها سيدنا عمر بن عبد العزيز الذي عده الثوري خامس الخلفاء الراشدين.

قال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة «أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز»[١].

وهكذا أكرمها الله بطيب الأصل وحسن الذرية فهي ذرية مباركة طيبة نشرت في ربوع بلاد الإسلام العدل والأمن حتى عم الرخاء على البلاد. ومن الأخبار التي أوردها التاريخ عن أم عاصم: أنها كانت مُحسنة جوّادة.

عن أحمد بن سليمان عن الزبير قال: «لما ماتت رقية بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند إبراهيم بن نعيم بن عبد الله فدُفنت بالبقيع، انصرف به عاصم إلى منزله فأخرج له ابنتيه: حفصة وأم عاصم فقال له: اختر أيّهما شئت فإنا لا نحب أن يتقطع صِهْرك منا قال إبراهيم: لم يَخْفَ عليَّ أن أم عاصم أجمل المرأتين فتجاوزت عنها وقلت: يصيب بها أبوها رغبة من بعض الملوك لِمَا رأيت من جمالها. وتزوجت حفصة، فتزوج

(١) صفة الصفوة (٢/ ٨٠) وليس هذا فيه منتقصة لسيدنا معاوية بن أبي سفيان، فالأصل أنه خامس الخلفاء الراشدين وحاشانا أن نقدم أحداً على صحابة رسول الله ﷺ.

عبد العزيز بن مروان بن الحكم أم عاصم فولدت له عمر بن عبد العزيز وإخوة له، ثم هلكت عنده وهلك إبراهيم بن نعيم عن حفصة بنت عاصم فتزوجها عبد العزيز بن مروان بعد مَهْلك أم عاصم بنت عاصم وحُمِلت إليه بمصر وكان بأيلة إنسان به خَبَل يقال له شر شمير، فكانت أم عاصم مَرّت به فتعرَّض لها فأعطته وأحسنت إليه، ثم مرت به بعدها حفصة بنت عاصم فتعرض لها فلم ترفع إليه رأساً. فسئُل أين حفصة من أم عاصم فقال: «ليست حفصة من رجال أم عاصم»(١).

وهكذا كانت خيّرة مُحسنَة أماً مُربية أخرجت لنا سيداً من سادات البكائين سيدنا عمر بن عبد العزيز. ومما جاء في ذلك عن أبي قَبيل: أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير قد جمع القرآن، فأرسلت إليه أمه فقالت ما يبكيك؟ قال: «ذكر الموت» فبكت أمه من ذلك(٢).

وهكذا كانت السيدة أم عاصم أماً صالحة سجلها التاريخ في سجل الأمهات الخالدات وهكذا نزعت به إلى خلائف جده الفاروق رضي الله عنه فرحمها الله ورضي عنها وعن ولدها.

وهكذا كانت المرأة المسلمة عبر التاريخ مصدراً للخير والذرية الصالحة فهي كالأرض الطيبة قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ

---

(١) نسب قريش لمصعب (٣٦١).
(٢) وتاريخ ابن عساكر تراجم النساء.

يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ [الأعراف: ٥٨].

فاحرصي يا أختاه على أن تكوني أرضاً طيبة تجود بالخير، تجود بالذرية الصالحة التي يُباهي بها رسول الله ﷺ الأمم.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: «تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»(١).

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٨) وساقه الحافظ في الفتح (٩/ ١١١) وسكت عليه وقوّاه الألباني لشواهده في الصحيحة رقم (١٧٨٢).

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان

ما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً

ومن النساء اللاتي سطر لهن التاريخ مواقف رائعة في الوفاء: السيدة فاطمة بنت عبد الملك بن مروان. وكانت زوجة لسيدنا عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين وأخت أربعة من خلفاء بني أمية قال الشاعر فيها [الكامل]:

بنت الخليفة والخليفة جدها

أخت الخلائف والخليفة بعلُها

ولقد كانت السيدة فاطمة بنت الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان لديها من الجواهر كمية كبيرة لم تملكها امرأة على وجه الأرض ويُقال: إن هذه الحلي قرطي مارية اللذين اشتهرا في التاريخ وتغنى بهما الشعراء، وكان أحداهما يساوي الكثير وقد كانت في بيت أبيها تعيش في نعمة لا تعلو عليها عيشة امرأة في الدنيا لذلك العهد. ولكن لما تزوجت الخليفة عمر بن عبد العزيز وقد جاءته الخلافة بعد زواجه منها، اختار أن تكون نفقة أهل بيته دراهم قليلة في اليوم ورضيت بذلك زوجته. ومما

سطره التاريخ في ذلك أنه أمرها أن ترد الجواهر التي أخذتها من بيت أبيها إلى بيت المال فوافقت عليها رحمة الله.

عن خُليد بن عُجْلان قال: كان عند فاطمة بنت عبد الملك جواهر فقال لها عمر: من أين صار هذا إليك قالت: أعطانيه أمير المؤمنين قال: إمّا أن تردِّيه إلى بيت المال وإما أن تأذني في فراقك فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت. قالت: لا بل أختارك على أضعافه لو كان لي. فوضعته في بيت المال فلما ولي يزيد بن عبد الملك [أخوها] قال لها: إن شئت رددته عليك أو قيمته قالت: لا أريده: طبت به نفساً في حياته فارجع فيه بعد موته؟ وفي رواية «ما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً»[١].

أي موقف سطره التاريخ لتلك المرأة التي تركت كل مجوهراتها الثمينة وهي طيبة النفس راضية بأمر زوجها، فهي تعلم أنه يأخذ بيدها إلى الجنة وإلى طاعة الله فتخلت عن كل متاع الدنيا وهي ابنة الخلفاء وأختهم. وليس هذا بالسهل على النفس البشرية ولكن الإيمان والرضا والتنافس في الخير مع زوجها جعلها تختاره على كل متاع الدنيا. فأي شيء في الدنيا يعدل الزوج الصالح الذي يعين المؤمنة على طاعة الله في طريقها إلى ربها؟ وماذا تصنع بالمجوهرات الكثيرة إذا كانت سوف تُحاسب عليها بين يدي الله؟.

(١) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء ص ٢٩٢.

ثم تأملي أختاه وفاءها بعد وفاة زوجها له وللعهد الذي أخذته على نفسها مما يدل على أنها قامت بهذا العمل راضية محتسبة أجره عند الله فقد قالت: «ما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً» فأي وفاء هذا الذي سجله التاريخ لتلك المرأة المسلمة؟ ولم تكن السيدة فاطمة زوجة وفية فقط، بل كانت زوجة صبورة صالحة صبرت مع زوجها على الزهد في الدنيا بعد ما كانت تتمتع بكل أنواع النعيم ولكن رضيت بأن تكون زوجة للخليفة عمر بن عبد العزيز دون خدم أو حشم، وقد جاء في ذلك عندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة فعن بعض خاصة عمر بن عبد العزيز: أنه حين أفضت إليه الخلافة سمعوا في منزله بكاء عالياً فسأل عن البكاء فقيل: «إن عمر بن عبد العزيز خيّر جواريه فقال: إنه قد نزل لي أمر قد شغلني عنكن فمن أحب أن أعتقه أعتقته ومن أراد أن أمسكه أمسكته ولم يكن مِني إليها شيء فبكين يأساً منه»(١).

وهكذا كان حاله مع زوجته فاطمة فقد سُئلت عنه فقالت: «أن عمر رحمة الله عليه قد فرّغ للمسلمين نفسه ولأمورهم ذهنه فكان إذا أمسى مساء لم يفرُغ فيه من حوائج يومه وصل يومه بليلته»(٢).

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٨٣).
(٢) أعلام النساء (٤/ ٧٥).

ولكن تلك المرأة الصالحة رضيت أن تشاركه هم الأمة وتكون زوجة له تخدمه وترعاه وهي بنت الملوك ولم تغضب لذلك ولم تسخط كل ذلك طمعاً فيما عند الله وطلباً للرفعة في الجنة مع هذا الرجل الصالح قال تعالى:

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

أم عقيل وصبرها على ولدها

قال أبو الفرج بن الجوزي: قال الأصمعي خرجت أنا وصديق لي إلى البادية فضللنا الطريق، فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق فقصدناها فسلّمنا فإذا امرأة ترد السلام قالت: ما أنتم؟ قلنا: قوم ضالون عن الطريق أتيناكم فأنسنا بكم، فقالت: يا هؤلاء ولوا وجوهكم عني حتى أقضي من حقكم ما أنتم له أهل، ففعلنا فألقت لنا مِسْحاً[1] فقالت: اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني، ثم جعلت ترفع طرف الخيمة وتردها إلى أن رفعتها فقالت: أسأل الله بركة المقبل أما البعير فبعير ابني وأمّا الراكب فليس بابني، فوقف الراكب عليها فقال: يا أم عقيل أعظم الله أجرك في عقيل قالت: ويحك مات ابني؟ قال: نعم قالت: وما سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل فرمت به في البئر فقالت: انزل فاقض ذمام القوم[2] ودفعت إليه كبشاً فذبحه وأصلحه وقرّب إلينا الطعام فجعلنا نأكل ونتعجب من صبرها، فلما فرغنا خرجت إلينا وقد تكورت، فقالت: يا هؤلاء هل فيكم من

---

(١) المِسْح: الفراش.
(٢) ذِمام: الحرمة أي: اقض حق ضيافة القوم.

يحسن من كتاب الله شيئاً؟ قلت: نعم قالت اقرأ عليّ من كتاب الله آيات أتعزى بها قلت: يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧] قالت: آلله إنها لفي كتاب الله هكذا؟ قلت: آلله إنها لفي كتاب الله هكذا قالت: السلام عليكم ثم صفت قدميها وصلت ركعات ثم قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله أحتسب عقيلاً ـ تقول ذلك ثلاثاً ـ اللهم إني فعلت ما أمرتني به فأنجز لي ما وعدتني به». أ. هـ[1].

فهذا الموقف تعجز عنه الكلمات من كرم الضيافة والصبر والرضا والاحتساب، وبعض هذه الصفات كانت متوفرة عند العرب في جاهليتهم فلما تشرقوا بالإسلام ازدادت رسوخاً بالإسلام وقد عزّت هذه الصفات النبيلة في المتأخرين والله ولي الصابرين.

(١) عيون الحكايات لابن الجوزي والمنحة المحمدية محمد عبد الله الشقيري (ص ٢٠٨)، (ص ٢٠٩).

زُبَيْدة زوجة هارون الرشيد وابنة عمه

أم الخليفة وزوجة الخليفة

من النساء اللاتي سطر لهن التاريخ في صفحاته فضائل كبيرة وصفحات مضيئة: السيدة زُبَيدة وهي والدة الخليفة الأمين بن هارون الرشيد وتُكنى أم الفضل وأم جعفر واسمها عزيزة[(١)].

وقد كانت من سادات قريش ولم تلد هاشمية خليفة هاشمياً سواها سوى: فاطمة بنت أسد ولدت علياً بن أبي طالب والسيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ولدت الحسن بن علي[(٢)].

قال عنها ابن كثير: كانت عالمة فقيهة وذكر ابن خلكان: أنه كان لها مائة جارية كلهن يحفظن القرآن العظيم غير من قرأ منه ما قدر له وغير من لم يقرأ، وكان يُسمع لهن في القصر دوي كدوي النحل وكان ورد كل واحدة عُشْر القرآن[(٣)].

وقد كانت السيدة زبيدة مُحسنة تنفق أموالها في سبيل الله

---

(١) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للمكي (٨/ ٢٣٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) البداية والنهاية (١٠/ ٧١).

وخاصة في رعاية وخدمة بيت الله الحرام وقد صرفت على ذلك أموالاً عظيمة.

قال المكي: «ووجدت بخط بعض المؤرخين أنها اهتمت بحفر الأعين بعرفة ومِنى ومكة ويُقال: إن وكيلها حضر إليها في بعض الأيام وقال: قد انصرف الآن نحو أربعمائة ألف درهم فقالت له: ما أردت بهذا القول إلا أن تُعنّفني وتُنَدِّمَنِي وتمنعني من الخير، اصرف وتمم العمل ولو كان أضعاف ذلك[١]».

وهكذا أنفقت ـ رحمها الله ـ الأموال الطائلة لرعاية بلد الله الحرام واهتمت بالصدقات الجارية التي سوف ينال المسلم من ثوابها حتى بعد موته طالما يستفيد منها الناس. فأي خير حصلت عليه تلك السيدة الصالحة وأين أغنياء اليوم من الصدقات الجارية وغير الجارية؟ وهل لنا يا أختاه من أن نبذل أموالنا رخيصة لله تعالى لننال ثواب الله الذي هو أعظم من أموال الدنيا بأسرها؟ قال تعالى:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة: ٢٦٥].

(١) العقد الثمين للمكي (٨/ ٢٣٦).

ابنة أبي الحسن المكي

الزاهدة العابدة

ومن النساء اللاتي ذكرهن التاريخ بالزهد والعبادة: ابنة أبي الحسن المكي وكانت مقيمة بمكة.

عن عُبيد الله بن أحمد قال: كان لأبي الحسن المكي ابنة مقيمة بمكة وكانت أشد ورعاً من أبيها، وكانت تقتات في كل سنة بثلاثين درهماً يبعثها إليها أبوها من شَق الخُوص[1].

قال: وأخبرني ابن أبي الرواس وكان جاراً لأبي الحسن المكي قال: عزمت على الحج فأتيته أستعرض حوائجه فدفع إليّ قِرطاساً فيه دراهم وقال: ترسله إلى ابنتي بمكة في الموضع الفلاني، قال: فأخذته فلما وصلت إلى مكة سألت عنها فوجدتها في الزهد والعبادة أشهرَ من أبيها ففتحت القِرطاس وجعلتُ الثلاثين خمسيناً وأتيت إليها فسلمتُ عليها وقلت: أبوك يسلم عليك وقد بعث لك هذه الدراهم. فلما حصل القِرطاس في يدها قالت: إيش خبر أبي؟ قلت: على خير وسلامة قالت: هل

(١) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين المكي (٨/ ٣٦١).

خالط أبناء الدنيا وترك الانقطاع إلى العبادة[١]؟ قلت: لا قالت: فأسألك بمن حججت إلى بيته هل خلطت هذه الدراهم بشيء من مالك؟ قلت: ومن أين علمت؟ قالت: ما كان أبي يزيدني على الثلاثين شيئاً لأن حاله لا يحتمل أكثر من ذلك إلا أن يكون قد خالط أهل الدنيا. ثم رمت بالقرطاس وقالت: خُذه فقد عققتني وأجعتني طول السنة وأحوجتني إلى أن أقتات من المزابل إلى الموسم الآخر لأن هذه كانت قوتي طول السنة ولولا أنك ما قصدت أذاي لدعوت عليك.

قال: فقلت لها: خذي ثلاثين ورُدِّي الباقي.

قالت: «ما أعرفها بعينها وقد اختطلت لا أدري من أين هو»[٢].

تأملي يا أختاه تلك المرأة الزاهدة الورعة التي تعيش طوال السنة بالمال القليل الذي يرسله لها أبوها ولا تسأل أحداً شيئاً من ماله. فأين نحن من هذا الزهد والرضا بما قسمه الله لنا من المال؟ بل إن الواحدة إذا أعطاها زوجها القليل من المال تسخطت وغضبت وما ذلك إلا لضعف إيماننا، فلو قوي إيماننا بالله لوثقنا في رحمته ولفوضنا الأمر إليه كما كانت تفعل تلك

(١) ليس معنى انقطاعه للعبادة تركه لكل أمور الحياة والرهبنة، ولكنها تقصد أن الدنيا هل شغلته عن أمر آخرته أم أنه يزرع فيها ليحصد في الآخرة.
(٢) العقد الثمين (٨/ ٣٦٢).

المرأة الصالحة التي رضيت بالقليل. ثم لما لم تعرف مصدر المال الذي خُلط به وهل هو حرام أم حلال تورعت وردته كله متوكلة على الله أنه سوف يكفيها حاجتها. فأي زهد وورع هذا؟ ولم يرو ذلك يا أختاه عن عهد الصحابة بل هو في عهد قريب من عهدنا ولكن هل لنا أن نلحق بهذا الركب، ركب الزاهدات العابدات المتوكلات على الله عز وجل؟ رزقني الله وإياكِ حسن التوكل على الله.

نفيسة بنت الحسن بن زيد
بن الحسن بن علي بن أبي طالب

السيدة المباركة تعمل لتنال رضى ربها

من ربات العبادة والصلاح والزهد والورع، ولدت بمكة سنة ١٤٥ هـ ونشأت بالمدينة ودخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق. وقيل مع أبيها الحسن الذي عين والياً على مصر من قِبَل أبي جعفر المنصور فأقام بالولاية خمس سنين ثم غضب عليه المنصور وحبسه.

وقد حفظت نفيسةُ القرآن الكريم وتفسيره. ويروى أن الإمام الشافعي لما دخل مصر حضر إليها وسمع عليها الحديث. وكانت كثيرة البكاء تُديم قيام الليل وصيام النهار وكانت لا تأكل إلا في كل ثلاث ليال أكلة واحدة ولا تأكل من غير زوجها شيئاً وحجت ثلاثين حجة وكانت تبكي بكاء شديداً وتتعلق بأستار الكعبة وتقول: «إلٰهي وسيدي ومولاي متعني فرحني برضاك عني» وقالت زينب بنت يحيى المتوّج: خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت الليل ولا أفطرت بنهار فقلت لها:

أما ترفقين بنفسك؟ فقالت: «كيف أرفق بنفسي وقدامي عقبات لا يقطعها الفائزون»[١].

وكانت السيدة نفيسة مع كل هذه العبادة والصلاح في ذاتها، لا تبخل على من حولها بالعون والمساعدة فقد وقفت يوماً في طريق أحمد بن طولون وكان قد ظلم في مصر وطغى فاستغاث الناس بتلك المرأة الصالحة من ظلم أحمد بن طولون فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: في غدٍ فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت: يا أحمد بن طولون، فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فإذا فيها: «ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم ورُدت إليكم الأرزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوعتموها وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجُوروا فإنا بالله مستجيرون واظلموا فإنا إلى الله مُتظلمون وسيعلم الذي ظلموا أي مُنقلباً ينقلبون» فعدل لوقته[٢].

وهكذا توجة السيدة نفيسة هذا الطاغية بكل قوة وشجاعة. فإن الإيمان في قلبها قد جعله يتضاءل حتى صار شيئاً صغيراً كالهباء وجعلها في عينه مَهِيَبة عظيمة فاستجاب لكلماتها. وقد

---

(١) أعلام النساء: (١/ ١٨٧).

(٢) أعلام النساء: (٥/ ١٨٨)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٦٢).

توفيت السيدة نفيسة سنة ٢٠٨ هـ وهي صائمة وأرادوا أن يجعلوها تُفْطر ولكنها قالت: واعجباً منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه وأنا صائمة أأُفطر الآن؟ هذا لا يكون. ثم قرأت سورة الأنعام وكان الليل قد هدأ فلما وصلت إلى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام: ١٢٧] سلَّمت الروح إلى خالقها[١].

وهكذا تموت السيدة المباركة وهي حريصة على طاعة الله، ويسطر لنا التاريخ وفاتها ليعلم كل من جاء من بعدها أن من أراد مثل هذه الخاتمة الحسنة فعليه بالملازمة والمداومة على طاعة الله في كل وقت وكل حين كما كانت تلك السيدة المباركة حفيدة رسول الله ﷺ. فلعل أخواتي المسلمات يحرصن على طاعة الله ويقتدين بآل بيت محمد ﷺ في طاعتهم الله حتى يكن من أهل شفاعته ﷺ وحتى يجمعهن الله بهن في مستقر رحمته.

اللهم ارزقنا أعمالاً صالحة نتقرب بها إليك في كل وقت وحين وأحسن خاتمتنا يا رب العالمين.

---

(١) وفيات الأعيان (٥/٤٢٣) سير النبلاء (١٠/١٠٦).

أم المقريزي

امرأة لم تر وَجْهَ أجنبي قَطّ!

يقول عنها المقريزي:

«كانت أفضل نساء زمانها ديناً وعفة وصيانة وعقلاً وصبراً وخبرة وقال: ما رأت قط وجه أجنبي، كانت تديم قيام الليل وصيام الاثنين والخميس وتواظب على الأوراد من الذكر والقراءة، أقامت بالحُمَّى إحدى وعشرين سنة وماتت بها وهي صابرة غير جازعة ولا متسخطة[(١)]».

تأملي أختاه تلك السطور التي دونها لنا التاريخ عن تلك المرأة الفاضلة المسلمة التي أخرجت للأمة أحد الأئمة الأعلام وهو المقريزي ـ من أكبر مؤرخي القرن التاسع ـ ومن علماء زمانه في مصر. وقد كانت ـ رحمها الله ـ كما قال ابنها على حياء شديد حتى أنها لم تكن تنظر إلى وجه أي رجل أجنبي عنها. وأي صفة وفضل ذلك الفضل لقد تذكرت مع هذه الكلمة قوله تعالى عن الحور العين ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦] أي

---

(١) درر العقود الفريدة لابن المقريزي (٢/ ٤٧٩).

أنهن لا يتعدى نظرهن أزواجهن فهن ينظرن إليهم فقط.

وأي فضل نالته تلك المرأة حين رزقها الله الحياء؟ وأين بنات المسلمين اليوم من هذا الحياء وهذا الستر وأين هن من المداومة على الذكر وقراءة القرآن بتدبر وخشوع مع سكون وراحة؟ فإن القرآن شفاء للقلوب من أهوائها وأمراضها مما يجعل القلوب لا تتعلق بزخارف الدنيا وترجو ما عند الله ولذلك صبرت رحمها الله على المرض إحدى وعشرين سنة. وأي صبرٍ هذا؟ إنه صبر نبع من إيمانها بالله واستسلامها لأمره وطمعها فيما عنده من الأجر والفضل رزقنا الله الصبر والرضا، وزان بنات المسلمين بالحجاب والحياء.

فكوني كمثل هذه المرأة الفاضلة يا أختاه والتزمي بالستر والحياء ورحم الله من قالت:

فـلـيـقـولـوا عـن حـجـابـي
لا وربـي لا أبـالـي
شـيـمـتـي دومـاً حـيـائـي
واحـتـشـامـي رأس مـالـي

عصمت الدين خاتون
بنت الأتابك معين الدولة

تغضب لضياع وردها في ليلة

ومن النساء اللاتي نلن شهرة في التاريخ: السيدة عصمت الدين خاتون، زوجة الملك الصالح نور الدين محمود بن زنكي الذي كان هو ووالده من أشهر الملوك الذين حملوا على عاتقهم عِبئاً ضد الحملات الصليبية الشعواء عن بلاد المسلمين. وكانت تلك المرأة الصالحة تقف بجانب زوجها وتشد أزره في مواجهة أعداء الإسلام كما ذكر التاريخ عنها أنها كانت قوّامة ليل.

قال ابن كثيرة: كانت تُكثر القيام في الليل فنامت ذات ليلة عن وِرْدها فأصبحت وهي غَضَبى، فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذي فَوَّت عليها وِرْدَها فأمر نور الدين عند ذلك بضرب «طبلخانة» في القلعة وقت السحر لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل وأعطى الضارب على الطبلخانة أجراً جزيلاً وجراية كثيرة»[١].

---

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٣١٧).

تأملي يا أختاه تلك المرأة المسلمة التي تغضب لضياع وِرْدها من التهجد والصلاة في ليلة من الليالي. فما بالُنا يا أختاه ننام عن القيام ليالٍ طويلة ولا نغضب؟ لعلَّنا يا أختاه مع تلك الصفحات التي تصفحناها عبر التاريخ أن نستيقظ من غفلتنا ونُسرع لنلحق بركب الصالحات عبر التاريخ.

وبفضل الله ومنتهُ أرجو أن تكون رسالتي لكِ «أُخية الليل موعدنا» خير معين لكِ في اللحاق بالصالحات القائمات الليل اللاتي اشتقن لمناجاة ربهن فتركن لذيذ النوم قال تعالى:

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٨].

فاطمة بنت السمرقندي

مسلمة.... عالمة كان مهرها كتاب (البدائع)

ومن النساء اللاتي سطر لهن التاريخ صفحات مشرقة تمتلىء بالنور والعلم: السيدة فاطمة بنت السمرقندي وأبوها علاء الدين السمرقندي «صاحب تحفة الفقهاء» وابنته فاطمة كانت فقيهة عالمة حفظت «التحفة» لأبيها وطلبها جماعة من ملوك الروم، فلما صَنَّف أبو بكر الكاساني المُلَّقب «ملك العلماء» كتابه البدائع وهو شرح التحفة، عرضه على شيخه وهو أبوها فازداد به فرحاً وزوَّجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك فقالوا في عصره: «شَرَح تحفته وتزوَّج ابنته».

قال صاحب الفوائد البهية: «في ترجمة السمرقندي: محمد بن أحمد بن أبي أحمد أبو بكر علاء الدين السمرقندي صاحب «تحفة الفقهاء» أستاذ صاحب «البدائع» شيخ كبير فاضل جليل القدر تفقّه على أبي المعين ميمون المكحولي وعلى صدر الإسلام أبي اليسر البزدوي، وكانت ابنته فاطمة الفقيهة العلاّمة زوجة علاء الدين أبي بكر صاحب «البدائع» وكان زوجها يُخطىء

فتردّه إلى الصواب وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطُّها وخطُّ أبيها فلما تزوجت بصاحب «البدائع» كانت تخرج وعليها خطّها وخط أبيها وخط زوجها» أ. هـ[١].

وهكذا كانت فاطمة بنت السمرقندي فقيهة عالمة بالفقه والحديث، أخذت العلم عن جملة من الفقهاء وأخذ عنها كثيرون. وكان لها حلقة للتدريس وقد أجازها جملة من كبار القوم وكانت من الزهد والورع على جانب عظيم وألفت المؤلفات العديدة في الفقه والحديث وانتشرت مؤلفاتها بين العلماء الأفاضل.

وكانت معاصرة للملك العادل «نور الدين الشهيد» وطالما استشارها في بعض أموره الداخلية وأخذ عنها بعض المسائل الفقهية وكان دائماً يُنعم عليها[٢].

كل هذا التاريخ الحافل لتلك المرأة يجعلنا نعلم أن المرأة المسلمة نالت عبر التاريخ مكانة علمية رفيعة، شاركت فيها في نشر العلم ولكن لا تعتقد الأخت المسلمة اليوم أن ذلك دون ضوابط الشرعية بل كانت في حدود الشرع وفي مناخ تأمن فيه الاختلاط بالرجال وحضور مجالسهم فكانت تؤدي كل ذلك من وراء حجاب.

---

(١) جولة في رياض العلماء للدكتور عمر الأشقر.

(٢) الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور (ص ٣٦٧).

وهكذا يا أختاه شهدت المسلمة بالأمس نهضة علمية رائعة جعلتها تقود أمتها بالعلم والحكمة ونحن يا أختاه أي شعلة نحملها اليوم؟[١].

(١) عودي لرسالتي (ثغرات تسدها المرأة المسلمة).

ربيعة خاتون بنت أيوب
أخت السلطان صلاح الدين

أخت الملوك.... وأم الملوك تنفق في سبيل الله

ومن النساء اللاتي سطر لهن التاريخ صفحات مشرقة ناصعة: السيدة ربيعة خاتون أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي. وقد ذكر التاريخ لهذه المرأة المسلمة فضائل كثيرة منها: أنها كانت أماً للملوك وأختاً لهم فقد كان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكاً وكانت رغم ذلك جوّادة مُحسنة ترغب فيما عند الله وكم من الملوك يُراعي الله فيما آتاه من الملك؟؟

وقد كانت هذه المرأة والتي لُقبت بـ «ست الشام» من أكثر النساء صدقة وإحساناً إلى الفقراء والمحاويج. وكانت تعمل في كل سنة من دارها بألوف من الذهب أشربة وأدوية وعقاقير وغير ذلك وتفرقه على الناس[١].

وكانت عالمة من عالمات المسلمات وقال عنها الشيخ عطية

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٨٤ ـ ٨٥).

محمد سالم ـ رحمه الله ـ: قد رأيتُ بنفسي وأنا مُدرس بالإحساء نسخة لسنن أبي داود عن آل المبارك وعليها تعليق لأخت صلاح الدين الأيوبي[١].

وقد ماتت تلك المرأة الصالحة في دارها التي جعلتها مدرسة وكانت في خدمتها الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي وكانت هي الأخرى فاضلة ولها تصانيف وهي التي أرشدتها إلى وقف المدرسة بسفح قاسيون على الحنابلة[٢].

وهكذا كانت الملكة المسلمة الصالحة التي لم يشغلها الملك ولم يشغلها الترف عن الإحساس بفقراء بلادها، فكانت خير معين لهم فهل لملوك وملكات اليوم من أسوة حسنة في تلك المؤمنة؟؟

(١) تتمة أضواء البيان (٩/ ٣٦٠).
(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٨٥).

أم أمير المؤمنين عبد الرحمٰن الناصر[1]

أم فاتح فرنسا وسويسرا

ومع هذه الشخصية يدور بنا التاريخ ويحط ركابه على أرض حبيبة سادها الإسلام ثمانية قرون، كانت فيها من أكثر حضارات العالم تقدماً ورقياً نحن الآن عبر صفحات التاريخ في الأندلس مع شخصية فريدة هي أم الملك عبد الرحمٰن الناصر. لقد ساد الإسلام تلك الديار الأندلسية وأقامت فيها بني أمية خلافة إسلامية وكان من أشهر خلفائهم أمير المؤمنين عبد الرحمٰن الناصر الذي نشأ يتيماً وتربى في حجر أمه الفاضلة التي لم يذكر التاريخ اسمها ولكنه لم يغفل دورها والتأكيد على أنها هي السبب الأول الذي جعل ولدها يحتل تلك المكانة.

فقد كان عبد الرحمٰن الناصر والياً على الأندلس تولى حكمها في فترة تميد بالفتن وتشرق بالدماء. فما لبث أن قرّت له وخضعت ثم خرج في طليعة جنده فافتتح سبعين حصناً في غزوة واحدة ثم أمعن بعد ذلك في قلب فرنسا وتغلغل في أحشاء سويسرا وضم أطراف إيطاليا، حتى ريض كل أولئك له وخضعوا

ورجعوا لبأسه فكان أعظم أمراء بني أمية في الأندلس. حكم مدة خمسين سنة وستة أشهر وبعدما كانت قُرطبة إمارة أصبحت مقر خلافة يحتكم إليها عواهل أوروبا وملوكها ويختلف إلى معاهدها علماء الأمم وفلاسفتها. ولقد كان سر هذا التمكن من ذلك الخليفة هي الأم الخالدة التي ربت ولدها يتيماً بعد مقتل والده وعمره واحد وعشرون يوماً، فتفردت أمه بتربيته وإيداع سر الكمال وروح السمو وعلو الهمة في ذات نفسه فكان خير أمير عرفته الأندلس[١].

وهكذا دائماً كانت الأم المسلمة سبباً في دفع أولادهن وبناتهن إلى علو الهمة وعدم الرضا بالدون من الأمور. فخرّجت لنا عبر صفحات التاريخ المجاهد والملك العادل والصابر المحتسب والمؤمن التقي، وخرجت لنا خلفاء سادوا بلاد الغرب وخضعت لسلطانهم. فهل تعود تلك الأم المسلمة إلى صفحات التاريخ لتُخرج لنا أمثال الزبير بن العوام وأمثال عمر بن عبد العزيز وأمثال عبد الرحمٰن الناصر؟ نسأل الله أن يمن على أمته برجال يعيدوا للإسلام أمجاده السابقة.

(١) المرأة العربية بتصرف (٢٠/ ١٣٦) وانظر الأعلام للزركلي (٣/ ٣٢٤).

مُوضي بنت أبي وهطان

امرأة تنصر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

ومن المواقف الحديثة التي سجلها التاريخ للمرأة المسلمة أنها تبحث عما ينفع دينها، وتنظر في الأمور بعقلية عالية قَلَّمَا نجدها في كثير من النساء. وتلك الشخصية التاريخية هي زوجة الأمير محمد بن سعود، والتي كانت سبباً كبيراً في نصرة أعظم حركة تجديدية شهدتها الأمة منذ أوائل القرن الثاني عشر الهجري حتى يومنا هذا. وقد جاء في ذكرها:

«لما قدم الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) إلى الدرعية ليعرض دعوته على أميرها (محمد بن سعود) لعله ينصره بسيفه ويحمي دعوته التجديدية الوليدة، أوعز تلميذ شيخ الإسلام الشيخ: «أحمد بن سويلم العريني» إلى «ثنيان» و «مشاري» أخوي الأمير «محمد بن سعود» وكانا من أنصار الشيخ وأتباعه، أوعز إليهما أن يستكشفا رأي أخيهما الأمير محمد في شأن الشيخ ويقفا على مدى استعداده لنصرة دعوته، فلم يترددا في القبول وحَفَّا مُسرِعَيْن إلى دار أخيهما الأمير محمد وشرعا أولاً في مفاوضة زوجته المسماة (موضى بنت أبي وهطان) من آل

كثير وكانت امرأة مشهورة بوفرة الذكاء والنباهة وسعة الإدراك. وقد تحدث الأخوان إلى زوجة أخيهما طويلاً في المهمة التي جاءا من أجلها، وعن الدعوة التي يدعو إليها الشيخ ومدى فائدتها في مُحاربة البدع والخرافات، ومكانة الشيخ وما هو عليه من علم ومعرفة وصفة ما يأمر به وينهى عنه. وأخيراً طلبا إليها أن تفاوض زوجها لمناصرة الشيخ وشَدِّ أَزرِهِ وإشهار السيف من غمده في سبيل نصرة الدعوة التي يدعو إليها فَوعَدَتْهما خيراً وتم الاتفاق على ذلك. ونقلت السيدة (موضى) إلى زوجها ما دار بينها وبين أخويه من الحديث ودَعَتْهُ إلى تأييد الشيخ ونصرة دعوته وقالت له: إن هذا الرجل قدم إلى بلدك وهو غنيمة ساقها الله تعالى إليك فأكرِمه وعظِّمْه واغتنم نصرته. ثم رغَّبته وحسنَّت له القيام بزيارة خاصة إلى دار الشيخ (أحمد بن سويلم) لمقابلة الشيخ لتكون إعلاناً جهاراً للملأ بأنه على نصرته وتحت حمايته لكي يعظمه الناس ويكرموه. فوافق الأمير محمد على نصيحة زوجته وتم اللقاء بينهما حيث أفاض الشيخ في شرح دعوته إلى التوحيد ومحاربة الشرك والبدع، وتمت البيعة بينهما وعُقِد التحالف على قيام الأمير (محمد بن سعود) يشد أزر الشيخ ونصرة دعوته ودخل الشيخ البلد تلبية لدعوة الأمير واتخذ له منزلاً بالقرب من دار الأمير (محمد بن سعود) ا. هـ[١].

---

(١) «تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب» لحسين خلف

وهكذا كانت تلك المرأة الصالحة الصادقة من أكبر المُناصرات لدعوة الشيخ المجدد شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما أن هذه المرأة الصالحة كانت لها أكبر الأثر في مؤازرة زوجها وتشجيعه وحثه على الصبر والسلوان حينما اندحر الجيش الذي قاده ولده عبد العزيز وهُزم هزيمة نكراء في حائر[١].

وكما كانت زوجة صالحة صابرة، أيضاً أماً مُربية فقد سجَّل لها التاريخ أن في كنفها وتحت رعايتها نشأ ابنها الإمام المجاهد والبطل المجالد أمير المسلمين في زمانه العلاّمة الزاهد العابد بقية السلف الصالح وتلميذ إمام الدعوة السلفية: عبد العزيز بن محمد بن سعود الملقب: «مهدي زمانه» والذي قُتل غدراً بيد رافضي خبيث في صلاة العصر وهو ساجد سنة ١٢١٨ رحمه الله وعفا عنه وتقبله في الشهداء.

وهكذا ما زال الإسلام يجود بالزوجات الصالحات والأمهات الخالدات، لتكن نوراً بين سطور التاريخ يُضيء الطريق للمسلمة المعاصرة. فهلمي أختاه لتلحقي بَرْكب الصالحات.

الشيخ (ص ١٥٩ ـ ١٦١) وكذا السعوديون والحل الإسلامي (ص ١١٢).

(١) تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ (ص ٢٥٢).

أم إبراهيم العابدة

تزوج ولدها بحَوْراء من الجنة

ومن النساء اللاتي سجل التاريخ أسماءهن في سجل الأمهات الخالدات والمُربيات الصالحات: السيدة أم إبراهيم العابدة البصرية. وكانت من العابدات الشهيرات في البصرة. عن عبد المؤمن بن عبد الله القيسي قال: ضَرَبت أم إبراهيم العابدة دابّة فكسرت رِجلها فأتاها قوم يعزونها: فقالت: «لولا مصائب الدنيا وردْنا الآخرة مَفاليس»[(١)].

وهكذا كانت تعلم أن مصائب الدنيا ما هي إلا وسيلة لجلب الثواب والحسنات اللاتي تُقبل بها المسلمة على الله. ولذلك حرصت أم إبراهيم على ما عند الله في الآخرة، فزوجت ولدها بحورية من الجنة وأرسلت مهرها أموالاً تُنفق في سبيل الله وأرسلت ولدها هدية إلى الله شهيداً في سبيله ومما جاء في ذلك:

«أغار العدو على ثغر من ثغور الإسلام فانتُدِبَ الناس للجهاد فقام عبد الواحد بن زيد البصري في الناس خطيباً

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٢).

فحضّهم على الجهاد، وكانت أم إبراهيم هذه حاضرة مجلسَه وتمادى عبد الواحد على كلامه ثم وصف الحور العين وذكر ما قيل فيهن وأنشد في وصف حَوْراء [الرمل]:

غـــادةٌ ذاتُ دَلالٍ ومَـــرَح
يَـجِـدُ الـنَّـاعـتُ فـيـهـا مـا اقـتـرح
خُـلِـقَـتْ مِـن كـل شـيءٍ حَـسَـن
طَـيِّـب فـالـلَّـيْـتُ فـيـهـا مُـطَّـرَحْ
زانـــهـــا الله بـــوجـــهٍ جُـــمِـــعَـــت
فـيـه أوصـافُ غَـرِيـبـات الـمُـلَـح[1]
وبـعـيـن كُـحْـلُـهـا مـن غُـنْـجِـهـا[2]
وبِـخَـدٍّ مِـسْـكُـهُ فـيـه رَشَـح
نـاعـمٍ يـجـري عـلـى صـفـحـتِـهِ
نَـضْـرَةُ الـمُـلْـكِ ولألأء الـفـرح
أَتَـرى خـاطـبَـهـا يـسـمـعُـهـا
إذ تُـدِيـر الـكـأس طَـوْراً والـقَـدَح
فـي ريـاضٍ مـونِـقٍ نَـرْجَـسُـهـا
كـلـمـا هـبَّـتْ لـه الـريـحِ نَـفَـح

(١) المُلَح: مفردها مُلْحة وهي من الأحاديث.
(٢) الغُنْج: بالضم وبضمتين والغُنَاج: الشَّكل: الدلال.

وهـــي تـــدعـــوه بـــوُدٍ صـــادقِ
مُـلِـىءَ الـقـلـبُ بـه حـتـى طَـفَـح
يـا حـبـيـبـاً لـسـتُ أهـوى غـيـره
بـالـخـواتـيـم يَـتِـمُّ الـمُـفْـتـتـح
لا تـــكـــونَـــنَّ كـــمـــن جَـــدَّ إلـــى
مُـنْـتَـهـى حـاجَـتِـه ثـم جَـمَـح
لا، فـمـا يـخْـطُـبُ مـثـلي مَنْ سـهـا
إنـمـا يـخْـطُـبُ مـثـلـي مـن أَلَـح

قال: فحاج الناسُ بعضهم في بعض واضطرب المجلس فوثبت أم إبراهيم من وسط الناس، وقالت لعبد الواحد: يا أبا عُبيد ألست تعرف ولدي إبراهيم، ورؤساء أهل البصرة يخطبونه على بناتهم وأنا أضنُّ به عليهم، فقد والله أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عروساً لولدي، فكَرِّرْ ما ذكرت من حُسْنِهَا وجمالها فأخذ عبد الواحد في وصف حوراء ثم أنشد [الطويل]:

تَـوَلَّـدَ نـورُ الـنـور مـن نـور وجـهـهـا
فمازج طِيبَ الطِيبِ من خالص العِطْر
فلو وَطِئَتْ بالنعِل منها على الحصى
لأَغْشَبت الأقطار من غير ما قَطْرِ
ولو شِئْتَ عَقَدَ الخَصْرُ منها عُقْدَته
كغُصْنِ من الريحان ذي ورق خُضْرِ

ولو تَفَلَتْ في البحر شَهْد رُضابها[١]
لطاب لأهل البر شربٌ من البحر
يكاد اختلاس اللَّحظ يجرح خدّها
يجارح وَهْمِ القلبِ من خارج السِّتْرِ

فاضطرب الناس أكثر فوثبت أم إبراهيم وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد قد والله أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عروساً لولدي فهل لك أن تُزَوِّجَهُ منها هذه الساعة وتأخذ مِني مهرها عشرة آلاف دينار ويخرج معك في هذه الغزوة، فلعل الله يرزقه الشهادة فيكون شفيعاً لي ولأبيه في القيامة؟ فقال لها عبد الواحد: لئن فعلتِ لتفوزَنَّ أنتِ وولدُك وأبو ولدك فوزاً عظيماً.

ثم نادت ولدها: «يا إبراهيم» فوثب من وسط الناس وقال لها: لبيك يا أماه قالت: أي بُني أرضيت بهذه الجارية زوجة ببذل مُهجتك في سبيله وتَركِ العودِ في الذنوب؟ فقال الفتى: إي والله يا أماه، رَضِيتُ أيَّ رضاً فقالت: اللهم إني أُشهِدك أني زَوّجت ولدي هذا من هذه الجارية ببذل مهجته في سبيلك وترك العود في الذنوب فتقبله مِني يا أرحم الراحمين. قال: ثم انصَرفَتْ، فجاءت بعشرة آلاف دينار وانصرفت فابتاعت لولدها فرساً جيداً وسلاحاً فلما خرج عبد الواحد خرج إبراهيم والقراء

(١) الرُضاب: الريق المرشوف وفُتات المسك: قطع السكر، والبرد ولُغاب العسل.

حوله يقرءون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

قال: فلما أرادت فِراق ولدها، دفعت إليه كفناً وحَنُوطاً وقالت له: يا بُنَيَّ إذا أردت لقاء العدو فتكفن بهذا الكفن وتحنط بهذا الحنوط وإياك أن يراك الله مُقَصِّراً في سبيله. ثم ضَمَّتْهُ إلى صَدْرها وقَبَّلَتْهُ بين عينيه وقالت له: يا بني لا جمع الله بيني وبينك إلا بين يديه في عَرصَات القيامة.

قال عبد الواحد: فلما بلغنا بلاد العدو ونُودِي في النفير وبرز الناس للقتال، برز إبراهيم في المقدمة فقتل من العدو خلقاً كثيراً ثم اجتمعوا عليه فقتلوه.

قال عبد الواحد: فلما أردنا الرجوع إلى البصرة قلتُ لأصحابي لا تُخبروا أمَّ إبراهيم بخبر ولدها حتى ألقاها بحسن العزاء لئلا تجزع فيذهب أَجْرُها قال: فلما وصلنا البصرة خرج الناس يتلقَّوْننا وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج، قال عبد الواحد: فلما نَظَرت إليّ قالت: يا أبا عبيد هل قُبِلتْ مِني هَدِيَّتي فأُهَنَأ أم رُدَّتْ عَلَيّ فأُعَزَّي؟ فقلت لها: قد قبلت هديتُك وإن إبراهيم حيٌّ مع الأحياء يرزق قال: فخرت ساجدة لله شكراً وقالت: الحمد لله الذي لم يخيب ظني وتقبلَ نُسكي مِني. وانصرفت فلما كان من الغد أتت إلى مسجد عبد الواحد، فنادت: السلام عليك يا أبا عبيد بُشراك، فقال: لا زلتِ مُبَشِّرة بالخير. فقالت له: ٤رأيت

البارحة ولدي إبراهيم في روضة حسناء وعليه قُبة خضراء وهو على سرير من اللؤلؤ وعلى رأسه تاج وإكليل وهو يقول: يا أماه أَبْشرِي فقد قُبِل المهرُ وزُفَّت العروس[1].

تأملي يا أختاه بعين قلبك تلك الأم الخالدة أي بذل بذلته لله وهي تضحي بفلذة كبدها؟ وأي شوق ملأ قلبها هي وولدها حتى دفعت به إلى الجنة شهيداً (تحسبه كذلك) ليكون شهيداً وشفيعاً لها بين يدي الله؟.

هؤلاء هن نساء المسلمين يا أختاه، هن مُربيات الأبطال وأولئك هن الأمهات الخالدات اللاتي انبلج عنهن فجر الإسلام وعصف بقلوبهن الشوق لجنة الرحمٰن، فرفعن أولادهن إلى الجنة دار السلام. فأي أم كانت تلك الأم المسلمة وأي جيل تخرج من تحت يدها؟ إنه جيل الصحابة والتابعين الذين جعلوا الإسلام في قرن وبعض قرن يثب وثبة تملأ الأرض نوراً وعلماً وحكمة، لقد قطع المسلمون تلك المرحلة في بيُوت المسلمات الصالحات التي هي خيراً من أفضل الجامعات اليوم، فقد كانت الأم فيها بمثابة القلب من الجسد فهي غذاء أرواحهم وميزان أعوادهم ومفيض مداركهم ومبعث عواطفهم فإن وهنت كان الكل ضعيفاً.

---

(١) ذكر هذه القصة في فكاهة الأذواق في مشارع الأشواق، الشيخ محمود العالم (ص ٢٦ ـ ٢٩).

فهل ننهض يا أختاه لنحمل راية الأمهات الخالدات في أيامنا ونُربي أولادنا وبناتنا على الشرف والعز والجهاد وعلى حب الله ورسوله حتى يكونوا شفعاء لنا عند الله وحتى يكونوا من الأحياء يرزقون عند الله؟

وإلى الأم المسلمة اليوم نداء: هل أعجبتك تلك الحوراء كما أعجبت أم إبراهيم؟ فكوني مِثلها واخطبي لولدك تلك الحسناء ببذل مهجته في سبيل الله فأنت القائد وأنت المُرشد له في هذه الدنيا وصدق الشاعر إذ يقول [الكامل]:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا
بالري أورق أيما إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الأُلى
شَغَلَتْ مآثرهم مدى الآفاق

فاللَّهم أخرج من أصلابنا من تؤهله لشهادة في سبيلك. آمين.

مواقف مُعاصرة

أم أحمد

امرأة لا تقرأ إلا القرآن

ذات يوم تطرق عليّ باب منزلي إحدى نساء المسلمين ترتدي ثياب الإسلام. وقد جاءت إليّ لتتعلم كيف تتلو كتاب الله وتحفظه، وقالت أنها لا تجيد القراءة والكتابة. فعجبت من شأنها كيف تريد أن تُكمل حفظ القرآن وهي لا تستطيع القراءة والكتابة، ولكنها قدمت لي مفاجأة أنها تحفظ سورة البقرة إلا آيات قليلة، وذلك أن أحد المسلمات في قريتها الصغيرة كانت تتعهد تلقينها القرآن كل يوم حتى حفظتها. وكانت هي وحدها تقرأ في المصحف بتوفيق من الله دون مُساعدة فبمجرد سماع شريط القرآن تجد نفسها تقرأ السورة بعون الله مرة فمرة تحفظها وعند ذلك تأملت قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧] وصارت صداقتي (بأم أحمد) قوية، وتأتي في كل مرة حاملة للمصحف لا تريد أي شيء إلا مساعدتها في تلاوة بعض آيات القرآن. وسبحان الله، إذا قدمت

لها إحدى الكتب الدينية لتقرأها لا تستطيع أن تقرأ ولو كلمات قليلة فيها، وكلما قرأت سورة من كتاب الله وأجادت تلاوتها في صورة رائعة قد لا تستطيعها خريجات الجامعة عند ذلك تشع الفرحة من عينيها وتعلو كلمة الحمد لسانها وصدق الله إذ يقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس: ٥٧ ـ ٥٨].

فتأملي يا أختاه تلك المرأة المسلمة التي تحيا بيننا ولكن قلبها مُعلق بكتاب ربها ـ أحسبها كذلك ولا أزكي أحداً على الله ـ صدقت معه سبحانه في رغبتها الصادقة في تلاوة كتابه فوفقها وهداها وشرح قلبها لكتابه، فحفظت منه ما تيسر بل أصبحت في هذه الأيام القريبة تعلم أخواتها في قريتها كيف يتلون كتاب الله وتوجههن في أمور دينهن في دروس بسيطة لكنها مفيدة، وهدى الله على يديها الكثيرات من الأمِّيَّات. فأنت أيتها المتعلمة يا من حصلت على أعلى الشهادات، ماذا فعلتِ وما هو مكان كتاب الله في حياتك هل حرصت على حفظ كتاب الله مثل تلك المرأة الجاهلة العالمة؟ وهل حرصت على تقديم الخير لأخواتك وتعليمهن الخير مثل تلك المرأة؟

ألا فلتقبلي يا أختاه على كتاب الله تلاوةً وحفظاً وفهماً وسماعاً وتطبيقاً ليكون لك نوراً في الأرض ونوراً في السماء

ولتذكرك الملائكة ويذكرك الله فيمن عنده فتكوني من الفائزات. وليكن لكِ في (أم أحمد) خير قدوة في هذه الأيام ولا تنشغلي بأي شيء عن كتاب الله، لا تقولي أولادي فإن أم أحمد لها من الأولاد أربعة ولا تقولي بيتي فكل ذلك يهون لو صدقتِ النية مع الله.

أختاه: سارعي إلى التوبة والعودة وعقد الصلة القوية مع كتاب الله حتى يكون قائدك إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

أم أيمن العصرية

أم أيمن..... والصبر الجميل

تراها تذكر الله على كل حال، ورغم أنها ذات بشرة سمراء إلا أن وجهها يشع نوراً يشعر به من يخاطبها. وكيف لا وذكر الله لا يُفارق لسانها وكيف لا وقد ربَّت أيتامها منذ أكثر من خمس عشرة سنة صابرة محتسبة لا تستعين إلا بربها؟ ولوفاة زوجها قصة أسوقها لنتعلم معها الصبر الجميل في هذه الأيام التي سيطر فيها الجزع على النفوس:

«مرض زوجها ولزم المستشفى الجامعي في بلدها ولديه منها ثلاثة أولاد وبنت واحدة. وكانت ترعى شؤون زوجها في المستشفى وترعى أولادها لأنهم كانوا في مراحل التعليم المختلفة وفي إحدى الزيارات للمستشفى تتلقى خبر وفاة زوجها ـ وفاة رفيق عمرها ـ كي يتركها هي وأربعة من الأولاد ليس لهن إلا الله. فما زادت على قولها: «إنا لله وإنا إليه راجعون» ثم عادت إلى بيتها وأخبرت أهل زوجها وكانوا في محافظة مُجاورة، وعادت إلى أولادها وأعدت لهن طعام الإفطار ثم

قالت لهم: سوف يزورنا اليوم ضيوف من أقاربنا. وهيأت المنزل للمعزين حتى أفطر أولادها وتهيأوا لاستقبال الضيوف وأخبرتهم خبر الوفاة في رق ولطف وشفقة. كل هذا وهي أكثرهم صدمة وحسرة ولكنه الصبر الجميل الذي ملأ قلب تلك المؤمنة ـ أحسبها كذلك ولا أزكي أحداً على الله ـ لم تنح ولم تلطم الخد ولم يزد أولادها على البكاء، فهن تربية أم صابرة مؤمنة. ورضيت الأسرة بقضاء الله وصبروا وأسأل الله أن يجازيها ويُجازيهم جزاء الصابرين.

فهذه المرأة يا أختاه لا تعيش في عصر الصحابة بل هي حيّة ترزق بيننا ولكنها ذكرتني بأم سليم في وفاة صغيرها. وأسأل الله أن يخلف عليها في الدنيا والآخرة، ولقد رأيت خلفه عليها في الدنيا فقد أكرمها في أولادها فصرن رجالاً وحصلن على أعلى الشهادات ورزقها الله حج بيته الحرام وأسأل الله أن يُكافئها في آخرتها فهو القائل:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

فاطمة الأسبانية

إن أطعت نفسي عصاني لساني

تعيش في أول المواقف المعاصرة مع فاطمة، تلك الفتاة المؤمنة التي أحببتها دون أن أراها ويعلم الله مدى صدقي في عرضي لقصتها والتي يحكيها لنا الأستاذ عبد الله عفيفي[1].

«في أصيل يوم من صيف سنة ١٩١٤ كنت واقفاً في جمهور الواقفين في محطة طنطا أترقب القطار القادم من الإسكندرية لأتخذه إلى القاهرة. لقد كان كل في شغل بتلك الدقائق المعدودات يقضيها في توديع وإشفاق، يترقب كل القطار الذي سيحمله إلى الجهة التي يقصدها والكل ينسق حقائبه أو يحمل متاعه والبعض يتجاذب أطراف الحديث مع صديقه. وفي تلك اللحظات وبين ذلك الجمع المحتشد راع الناس صياح واضطراب ومشادّة ومُدافعة ثم أبصروا، فإذا فتاة في السابعة عشرة من سنها يقودها إلى موقف القطار شرطي عاتٍ شديدٌ وساعٍ من سعاة معتمدي الدول قويٌ عتيدٌ. ومن خلفها شيخ أوروبي جاوز

(١) جاءت هذه القصة ضمن كتاب (المرأة العربية) (٢/٨ ـ ١١).

الستين مكتئب مهزول وهي تدافع الرجلين حولها بيدين لا حول لهما.

أقبل القطار ثم وقف، فيكاد كلٌّ ينسى بذلك الموقف موقفه وما قصد له. ثم أُصعدت الفتاةُ وصعد معها من حولها وعجلت أنا وصاحبي فأخذنا مقاعدنا حيث أخذوا مقاعدهم، كل ذلك والفتاة على حال من الحزن والكرب لا يَحْمل معها الصبر ولا يُحمدُ دونها، سألت الشيخ «ما خطبه؟ وما أمر الفتاة؟» فقال وقد أشرقه الدمع وقطّع صوته الأسى:

إنني رجل أسباني وتلك ابنتي عرض لها منذ حين ما لم أعلمه. فصحوت ذات يوم على صوتها تصلي صلاة المرأة المسلمة، ومنذ ذلك اليوم احتجزت ثيابها لتتولى أمر غسلها، وأَرْسَلَت خمارها الأبيض على صفحتي وجهها ومكشوف صدرها، ثم أخذت تُنفِد وقتها في صلاة وصيام وسجود وهجود. وكانت تدعى (روز) فأبت إلا أن تُسمّى (فاطمة)، وما لبثت أن تبعتها أختها الصغرى فصارت أشبه بها من القطرة بالقطرة والزهرة بالزهرة. فزعت لهول ذلك الأمر وقصدت أحد أساقفنا فأخذ يعاني رياضتها فلم يجد إلا شِماساً وامتناعاً. وعزّت على الرجل خيبته فكتب إلى معتمدي الدولة الأسبانية بأمر الأسر الخارجة على دينها، وهنالك أمر المعتمد حكومة مصر فساقت إليه الفتاة كما ترى برغمها ورغم ذويها ليقذف بها بين جوانب

دير تسترد فيه دينها القديم!. قلت: «أو أرضاك أن تساق ابنتك سوق الآثمات المجرمات على غير إثم ولا جريمة».

فزفر الرجل زفرة كاد يتصدع لها قلبه ثم قال: أما لقد خُدعت ودُهِمْت وغلب أمر الحكومتين أمري فما عساني أفعل؟.

على أثر ذلك انثنيت إلى الفتاة وهي تعالج من أهوال الحزن وأثقاله ما تخشع الراسيات دون احتماله، فقلت: ما بالك يا فاطمة؟ ـ وكأنها أَنِسَتْ مني ما لم تأنسه ممن حولها ـ فأجابتني بصوت يتعثر من الضنى: (لنا جيرة مسلمون أغدو إليهم فأستمع أمر دينهم حتى إذا أخذني النوم ذات ليلة رأيت النبي محمداً ﷺ في هالة من النور يخطف سناها الأبصار يقول وهو يلوح إليّ بيده: «اقتربي يا فاطمة». ولو أنك أبصرتها وهي تنطق باسم النبي محمد ﷺ لرأيت رعْدَة تتمشى بين أعطافها وأطرافها حتى تنتهي إلى أسنانها فتخالف بينها، وإلى لسانها فتعقله وإلى وجهها فتخيل لونه فلم تكد تستتم حملتها حتى أخذتها رجفة فهوت على مقعدها كأنها بناء منقض؟ إلى ذلك الحد غشي الناس ما غشيهم من الحزن وأبصرت بشيخ يمشي في ردهة القطار فطلبت إليه أن يؤذن في أذنها فلما انتهى إلى قوله: «أشهد أن محمداً رسول الله» تنفست الصُّعداء وأمعنت في البكاء وعاودتها سيرتها الأولى فلما أفاقت قلت لها: ومم تخافين وتفزعين؟ قالت: إنه سيؤمر بي إلى دير حيث ينهلون من السياط دمي ولست من ذلك

أخاف، إلا أن أخوف ما أخاف يومئذٍ أن يحال بيني وبين صلاتي ونسكي! قلت لها: يا فاطمة أولا أدلك على خير من ذلك؟ قالت: أجل قلت: إن حكم الإسلام على القلوب فما عليك لو أقررت بين يدي المعتمد بدينك القديم وأودعت الإسلام بين شغاف قلبك حتى لا يفوتك أن تقيمي شعائره حيث تشائين؟ هنالك نظرت إليّ نظرة تضاءلتُ دونها حتى خفيت على نفسي ثم قالت: دون ذلك حَزُّ الأعناق وتفصيل المفاصل دعني فإنني إن أطعت نفسي عصاني لساني ثم لم يعرف الشيخ ماذا حدث لها بعد ذلك.

لك الله يا فاطمة وسلام الله عليك فما أنت أولى شهيدات المسلمات وما أنتِ أولى شهيدات الإيمان الوثيق.

تأملي يا أختاه تلك الفتاة المؤمنة التي ذاقت حلاوة الإيمان ورضيت بالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً، فأبى قلبها إلا الإسلام وثبتت في مواجهة قوى الطغيان. فهل نثبت نحن يا أختاه اليوم في مواجهة قوى الطغيان؟ فهي فتاة كانت تحيا في أيامنا وتعيش في عصر قريب من عصرنا فهل لنا من قدوة حسنة في تلك المؤمنة الصابرة؟

الخاتمة

وهكذا نأتي إلى نهاية المطاف من تلك الرحلة المباركة التي قطعناها عبر صفحات التاريخ، تخطينا فيها معه الأزمنة والأماكن المختلفة وتبينا من خلالها ملامح أكثر من خمسين شخصية عبّرتُ من خلالها عن روعة الإسلام وأثره في صُنع مواقف مشرقة سطرها التاريخ للمسلمات بمداد من نور، وظهرت فيها خير قدوة للمسلمة في هذه الأيام.

لقد عشنا عبر صفحات التاريخ مع شخصيات فريدة قلما تتوافر في أمة من الأمم ولكنها ظهرت مع ظهور الإسلام فهو الذي صاغها وهو الذي أخرجها من الظلمات إلى النور.

لقد عشنا عبر صفحات التاريخ مع المؤمنة الصابرة والأم الخالدة، عشنا مع المؤمنة الثابتة على الحق والزوجة الصالحة التي تدفع بزوجها إلى الحق، عشنا مع المرأة المسلمة في كل أطوارها الإيمانية المختلفة، عشنا معها أماً وبنتاً وزوجة وعالمة ومتعلمة ومجاهدة وصابرة محتسبة. وتنقلنا معه عبر الأماكن فمن بلاد الحجاز إلى دمشق إلى مصر إلى الأندلس ولم نترك بقعة إلا

وعرضنا لشخصيات مسلمة كان لها أكبر الأثر في مكانها وزمانها، لنتعلم أن الإسلام نشر نوره على كل بقاع الأرض وصدق الله إذ يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

ولم أهتم عبر هذه الصفحات بالسرد التاريخي أو الترتيب الزمني، وذلك لأنني اهتممت بتنوع الملامح الخاصة بكل شخصية دفعاً للملل والضجر. فمن المؤمنة الصابرة إلى المجاهدة إلى العالمة وهكذا ولم أهتم بسرد حياة الشخصية التي أتناولها بل ركزت على مواقفهن المشرقة التي سطرها التاريخ لهن عبر صفحاته.

أختاه: لقد كانت كلماتي صرخة أُوجهها لكل المسلمات اليوم بأن لهن تاريخاً حافلاً وسيرة عطرة مليئة بالنماذج الفريدة التي هي خير قدوة للمرأة المسلمة اليوم.

[الطويل]:

سلامٌ على تلك الخلائق إنها
مُسَلَّمة من كل عارٍ ومأثم

وأسأل الله العلي القدير أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ولا تحرميني يا أختاه من دعوة بظهر الغيب ليقول لك الملك: آمين ولك المثل.

أختك أم إسراء وسارة وأسماء

المحتويات

ISBN 9953-420-79-3
9 789953 420790 >

دار المعرفة
للطباعة والنشر
شارع البرجاوي ـ قرب قصر بلدية الغبيري
هاتف: 834301 - 834332 - 858830(01)
فاكس: 835614(01) ـ ص.ب: 11/7876 بيروت ـ لبنان
البريد الإلكتروني e. mail: info@marefah.com
http://www.marefah.com